عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

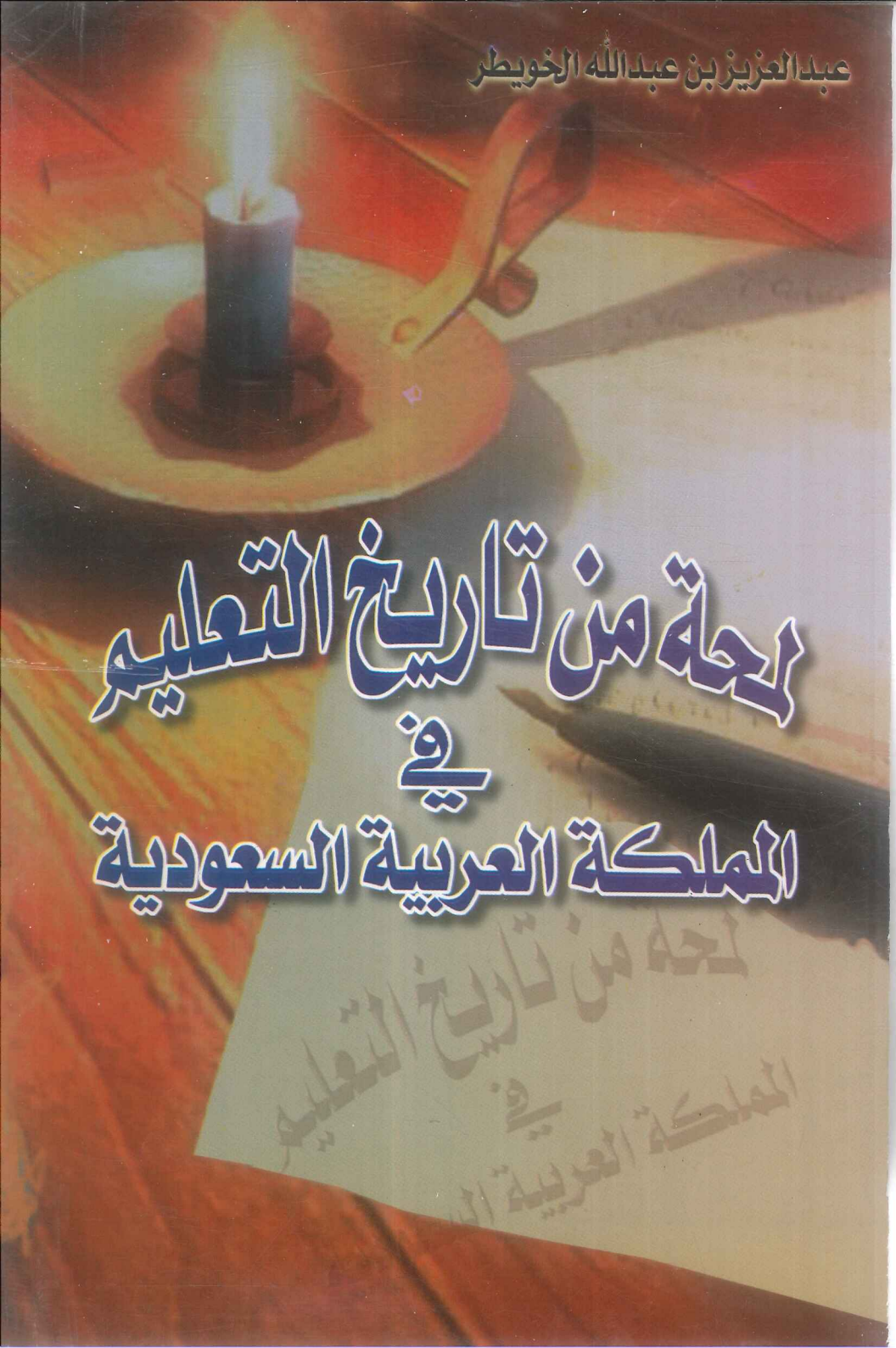

لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية

لمحة من تاريخ التعليم
في المملكة العربية السعودية

لمحة من تاريخ التعليم
في المملكة العربية السعودية

تأليف

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

ح عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله

لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية./ عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر.- الرياض ، ١٤٢٤هـ.

١٣٦ ص ، ١٤,٥ × ٢١ سم

ردمك : ٥ - ٠٠٦ - ١٠ - ٩٩٦٠

١ - التعليم - تاريخ - السعودية

أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٤/١٤٣٢

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١٤٣٢

ردمك : ٥ - ٠٠٦ - ١٠ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

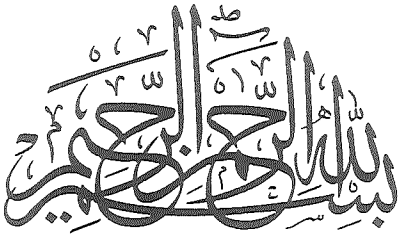
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

التعليم، كلمة عندما أفكر فيها يقفز إلى ذهني ثلاثة عناصر: المعلم والعلم والمتعلم، ولا يكمل التعليم إلا بها، وفي كل واحد منها تفصيل يندرج تحته، وبقدر ما يكمل هذا التفصيل تكمل الفائدة، ونقص توفره أو بعضها تضيع الفائدة أو جزء منها.

ومن التفاصيل التي تلازم المعلم علمه ومقدرته على نقله إلى غيره، يشارك في هذا فصاحته، ومقدرته على التعبير، واستشفاف مدى استيعاب السامعين لما قال، ومزاجه في صبره وتحمله، وحبه لعلمه، وحماسه لنشره.

والعلم يدخل تحته من مستلزماته عمقه فيما ينشره ويذيعه، وشموله لما يتصل به، ويتطرق إليه، وهل كان كسبه عن طريق نظري، أو عن طريق التجربة، وهل كان كسبه للارتزاق به، أو أنه هواية في أول الأمر، وجاء الارتزاق فيما بعد تبعاً،

لأنه لابد منه لاستمرار الهواية، التي هي أساس في الإبداع والاختراع.

والمتعلم له تفاصيل تليق به، أبرز ما فيها رغبة المتعلم في العلم، ومدى حماسه له، واستعداده لتلقيه، وإيمانه بمعلمه، وبطريقة عطائه، والتناغم بين المتعلم ومعلمه، وقبول أحدهما الآخر، والحماس الذي ينتج عنه إتقان العمل، وكما له من جميع جوانبه. ويؤثر تأثيراً ملحوظاً حسن اختيار وسيلة التعليم، وتدرجها في التنوع، تبعاً للسنّ والاستيعاب. والتفرغ للعلم له مقام يوصل للهدف، ويقصر المدة. ويساهم في الإتقان.

المعلومات الواردة في هذا الكتيب تؤرخ تاريخاً، يجيء عفواً، لحقبة من زمن سير التعليم في المملكة العربية السعودية، ترسمه تجربة فرد في نفسه، أو وصفاً لمن حوله، أو لمن سمع عنهم، أو لحقيقة بحث عنها لتسد ثغرة صغيرة، ووفق في الحصول على هذه الحقيقة. وهذه الصور لم يقصد منها أن تكون

سلسلة منتظمة، أو أن تاريخ وقوعها لم يترك جزءاً مهما هنا أو هناك، وإنما حُرص على وضعها على الورق لعلها تفيد باحثاً يحتاج إلى جزء منها يكمل به بحثاً، أو يعضد به بحثاً، أو يقارن به بحثاً.

الحقائق الواردة أغلبها، كما سوف يرى القارئ، جاءت بوحي من المناسبة، فحصرت الحديث في مدينة تمثل، فيما جاء عليها، المدن المماثلة لها، أو حقبة في السير ترسم صورة تستوجب وضعها لترسم إطاراً لابد من رسمه ليدخل ضمنه ما يستلزم ذلك.

وكما يرى القارئ الكريم الفضل لله في تجمع هذه المقالات ثم للمناسبات المختلفة التي أخرجتها من مكامنها، مطلية بطلائها، ومتدثرة بدثارها، فهذا يوم وطني استدعى أن يكتب عن التعليم فيه من وزير التعليم، وهذه المئوية، وما جاء معها من بركات، أطلت بسببها أفكار، وكتبت مقالات، وألّفت كتب، وبرزت وثائق، وأطلّت برأسها

أفكار، وهذه سنة تؤرخ لفتح مدرسة، أو بدء تعليم منتظم، كالمقالة التي ألقيت في حفل في مدينة عنيزة بمناسبة مرور ثلاثة وستين عاماً على إنشاء المدرسة السعودية فيها، وهي أول مدرسة نظامية تنشأ فيها، وكانت هذه فرصة لي لزيارة عنيزة التي ولدت فيها، وقضيت فيها ثلاثة عشر عاماً قبل أن تنتقل أسرتي إلى مكة المكرمة.

وفرصة لي أن أرى التقدم السريع، والتوسع المتواصل في مدننا، وكنت ألحظ هذا دائماً كلما زرت إحدى هذه البلدان، ولقد رأيت عنيزة اتسعت شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، حتى التهمت «الضاحي» بأكمله أو كادت، وامتدت شمالاً حتى كادت أن تتماد الأيدي مع مدينة بريدة، ومن يعرف! فقد نجد أن اسم بريدة وعنيزة قد اختفيا، وأصبح محلهما مدينة عملاقة اسمها «بريزة» أو «عنيدة»، ورجحان أحد الاسمين اختيار أصحاب الآذان الموسيقية. هذه المدن كانت مدناً تتحارب، فعنيزة

كانت ثلاث مدن: العقيلية، والخريزة، والجناح، ويضاف إليها الضبط، ثم اندمجت هذه البلدان في مدينة واحدة، وانمحت بينها الفوارق القبلية، واندمجت في وحدة كونت عصبية ضد غزاة يأتون من بعيد، وتدريجاً أخذت تبني الأسوار والتحصينات، أما اليوم فالتباري والتنافس في العمران، والسباق في مجالات الخير، في التعليم، ومجال الصحة، والعمل الاجتماعي.

ولعل قليلاً من غير المتابعين يجهل أن منفوحة، وهي اليوم داخل الرياض، كانت تتحارب مع الرياض، وكانت الحرب بينهما سجالاً، النصر يوماً مع هذه، ويوماً مع تلك، وإذا كان الرجحان في أول الأمر مع منفوحة، فقد انقلب مع الرياض فيما بعد، حتى التُهمت منفوحة، وأصبح المتجه إلى جنوب الرياض يدخلها دون أن يعلم.

وكثير من بلدان نجد بمثل هذه الصورة، ونحن نشهد اليوم امتداد مدينة الدمام إلى مدينة الخبر،

وامتداد مدينة الخبر إلى مدينة الدمام، حتى التقتا على خير - والحمد لله - وكان السائر بينهما فيما مضى، قبل تعبيد الطرق تغرس عجلات سيارته في الرمل الواقع بينهما، وكان سفراً مضنياً، رغم قصر الطريق.

لقد جمعت هذه المقالات سيراً على سياسة اتبعتها في جمع شمل ما تفرق من مقالاتي في الصحف وغيرها، لتكون الفائدة في الوصول إليها مجموعة ميسرة، وهذا أسهل من البحث عنها في مظانها من المراجع المختلفة، وهي فوق ذلك تمثل حالنا الفكري في وقت كتابتها، ونظرتنا إلى هذه الأمور، عرضُ من كتب، وقبول من تلقَّى، أو رفضه.

هذا والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

التعليم في المملكة[١]

كانت الجزيرة العربية في أوائل القرن الهجري الماضي يتفاوت في أجزائها المتعددة التعليم، ولكن يغلب عليه التدريس في الكتاب للأطفال، ثم التعليم الديني في المساجد، وأبرزها الحرمين الشريفين، حيث يجلس كبار العلماء للتدريس في أوقات متفاوتة من النهار، ولدروس دينية متنوعة.

وكان الحجاز في المملكة العربية السعودية متقدماً في التعليم لوجود الحرمين، واجتذابهما لفطاحل العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة، ثم كانت الحجاز، ومكة بعينها، أول من تقبل التعليم الحديث المنظم بدروس، واختبارات وشهادات، بعضه أنشأته هزيلاً الدولة العثمانية، أو قام به احتساباً أثرياء من الهند وغيرها، فكان لها تأثير كبير فيما بعد؛ وهذه المدارس الأهلية معروفة وقد

---

(١) هذه كتبت في ١٤١٧/٢/٢٥هـ الموافق ١٩٩٦/٧/١١م استجابة لطلب من معالي وزير المعارف الأخ الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد الرشيد.

كتب عنها بتفصيل، خاصة مدارس الفلاح، وكتب عن خريجيها، ومدى نفعهم في النهضة الحديثة في المملكة.

ولما تم توحيد المملكة أنشئت المدارس الحكومية المتعددة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة؛ وكان في مكة في وقت من الأوقات في عشر الخمسينيات الهجرية ما لا يقل عن ست مدارس، أذكر منها: المدرسة الرحمانية، والعزيزية، والسعودية، والفيصلية، والمحمدية، والخالدية، ثم ألحق معهد لتخريج المدرسين، ثم أنشئت ثانوية تكمل المراحل المنتظمة.

أما نجد وغيرها من المناطق فلم تعرف التعليم الحديث المنظم إلا في عام ١٣٥٦هـ عندما فتح في عواصم المناطق وكبار المدن مدارس تحضيرية، ففتح مدرسة في عنيزة، وأخرى في الأحساء، وثالثة في المجمعة، ثم تتالى فتح المدارس مدرسة بعد أخرى.

وتأخر في نجد إنشاء المراحل الابتدائية بعد التحضيرية، ولكن سرعان ما استدرك هذا النقص، ثم درجت العجلة، وكان الاندفاع في إنشاء المراحل الدراسية المختلفة، والاندفاع في نشر المدارس في جميع أنحاء المملكة. مدنها وقراها، بَدْأً مع إنشاء وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ، فعين أول وزير للمعارف الأمير فهد بن عبدالعزيز.

أخذ الأمير فهد يتلقف الخريجين من المبتعثين إلى مصر عند عودتهم من البعثة، فيضعهم في المناصب المختلفة، التي أنشأها في الوزارة، لتنفيذ الخطة التي وضعها للنهضة بالتعليم في جميع أنحاء المملكة؛ وسرعان ما آتت هذه الجهود ثمرتها، فانتشر التعليم، وبثت المدارس عرضاً وطولاً في المملكة، وتعددت المدارس الثانوية بعد أن لم يكن هناك غير مدرسة واحدة في مكة المكرمة، يفد إليها من تخرج من جدة، أو من المدينة المنورة، أو مختلف المدن في نجد والأحساء والطائف، من

المدارس الابتدائية. وأصبحت المدن تتبارى وتتسابق في رفع مستوى التعليم فيها؛ وسرعان ما تعددت المدارس المتماثلة في كل مدينة، إذ زادت أعداد الطلاب، وزاد الإقبال على التعليم، فلم تعد مدرسة ابتدائية واحدة تكفي، بل سرعان ما احتاجت بعض المدن أن يكون فيها عدة مدارس ابتدائية، وعدة مدارس ثانوية.

كانت الحرب العالمية الثانية الشرسة من العوائق التي أخرت التوسع في التعليم، فلم يكن بالإمكان إرسال البعثات الخارجية لضيق الموارد المالية في المملكة، ومصر هي الهدف الأول في إرسال البعثات إليها، وقد سبق الحرب بعثات كمل بعض أفرادها تعليمهم، وعاد بعضهم بسبب نشوب الحرب، حتى أن من تخرج من مدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمي السعودي، وهما المدرستان الثانويتان في مكة المكرمة، ولم يكن في المملكة غيرهما، عندما تخرجت أول دفعة فيهما أستعين بالمتخرجين

سنة دراسية للتدريس في الفصول الابتدائية في القلعة، مقر هاتين الثانويتين والصفوف العليا من الابتدائي، وهما الثالثة والرابعة، وتعادلان الآن السادسة والأولى متوسط في عداد السنوات اليوم.

وعندما انتهت الحرب بدأت البعثات ترسل إلى مصر في أول الأمر، ثم فيما بعد أرسل أعداد محدودة إلى بيروت في الجامعة الأمريكية؛ ولكن الأعداد الوافية كانت ترسل إلى مصر، وكان يرسل جميع خريجي مدرسة تحضير البعثات، والثلاثة الأول من المعهد العلمي السعودي، وبعض طلاب من مدارس الفلاح؛ لأنه اعتبر المنهي للدراسة في مدارس الفلاح بمستوى من تخرج من المعهد العلمي السعودي.

وألحق الطلاب بكليات جامعة الملك فؤاد في القاهرة، وكليات جامعة الملك فاروق في الإسكندرية، وكليات الأزهر؛ واستمر الابتعاث بمعدلات تتزايد أعدادها سنوياً، حتى أصبح من

الصعب إيجاد أماكن لهم في الجامعات، لكثرة الأعداد المتقدمة، وقلة الأماكن في الجامعتين، وبقي الأمر مجهداً حتى بعد إنشاء جامعات أخرى مثل جامعة أسيوط والزقازيق وغيرهما، وكان طلاب البعثات يجمعون في بيت واحد، وعليهم إشراف دقيق، وكان هناك بيت للطلاب في القاهرة وآخر في الإسكندرية، وفي تاريخ لاحق، وفي حدود عام ١٩٥٠ سمح لبعض الطلاب بالسكن خارج مبنى البعثة إذا وصلوا إلى السنة الأخيرة من الدراسة، ثم كثر العدد، وكثرت مشاكل بيت الطلاب وإدارته، فألغي بيت السكن، وزيدت مكافأة الطلاب بحيث يستطيع الطالب أن يستقل في سكنه، ويختار منه ما يشاء؛ مع بقاء الإدارة العامة للبعثات تحت إشراف الملحق الثقافي، لرعاية الجانب الدراسي والاجتماعي والصحي، حتى يومنا هذا.

ثم بدأ الالتفات إلى البعثات خارج البلاد العربية لمن أتم دراسته الجامعية، ورغب في الحصول على

شهادة أعلى، من دبلومات وماجستير ودكتوراه، فأرسلت البعثات إلى أمريكا وإنجلترا وفرنسا، وألمانيا وإيطاليا؛ وتدريجاً بدأت أعدادها تزيد واستوجب إنشاء ملحقات ثقافية بقيت إلى اليوم، وقد وصلت البعثات في بعض الأوقات، وفي بعض البلدان، إلى ما لا يقل عن أربعة عشر ألفاً، أغلبهم يدرسون للبكالوريوس، وبعض هؤلاء على حساب الحكومة السعودية، وبعضهم على حسابهم الخاص، ثم يضمون عندما يصلون إلى قرب نهاية المرحلة، ليكملوا تعليمهم العالي، إلى أن أقفل الباب عن البعثات إلا للشهادات العليا فانخفض العدد كثيراً.

وفي عام ١٣٧٧/ ١٩٥٧ تقريباً بدأ التفكير في إنشاء جامعة تكون تاجاً على رأس التعليم، وتحمس للأمر وزير المعارف حينئذ صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز (الملك فهد)، وكان أول وزير للمعارف لأول وزارة للمعارف أنشئت

عام ١٣٧٣هـ؛ واستفاد من الخريجين الذين عادوا من البعثات في الخارج، للتخطيط لهذه الجامعة، فأنشئت جامعة الملك سعود، وبدأت بكلية الآداب والعلوم، ثم تلتها الصيدلة والتجارة ثم الزراعة والهندسة ثم الطب، وبعد أقل من عشر سنوات أنشئت جامعة الملك عبدالعزيز، بدأت أهلية، ثم تبنتها الحكومة عندما بدأت إمكاناتها المالية تشح، ومقرها جدة، ثم أنشئت كلية للبترول في الظهران، وتحولت فيما بعد إلى جامعة سميت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ثم أنشئت جامعة الملك فيصل في الدمام وفي الأحساء، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم طورت المعاهد الدينية في الرياض إلى جامعة سميت جامعة الإمام محمد بن سعود، ومقرها الرياض ولم يكن هذا كافياً، فقد قوبل نمو الطلاب، وعدم استيعاب الجامعات السبع لهم بإنشاء فروع لهذه الجامعات في المناطق المختلفة،

فأنشئت فروع في المدينة المنورة وفي القصيم، وفي أبها؛ وكان للجوانب العسكرية حقها من التعليم الجامعي فهناك كلية للأمن العام، وكلية للطيران، والكلية العسكرية، فارتفع بذلك مستوى من يدخلون الخدمة العسكرية في المجالات المختلفة؛ هذا عدا من يبتعثون إلى الخارج للدراسات المتعددة والتدريب في المجالات العسكرية الأساس والمرادف من الخدمات التي تعضد العمل العسكري؛ مع تركيز متقدم على دراسة الجوانب الفنية في معاهد مختلفة أنشئت لذلك.

والجانب الفني في احتياج البلاد روعي منذ بدء النهضة التعليمية، فأنشئت مدارس التعليم المهني، والتعليم الفني، وأنشئ للتعليم الفني معاهد ابتدائية، ثم ارتفع مستواها بإنشاء فصول عليا، وأنشئ عدة معاهد في أنحاء المملكة أُمل أن تستوعب من الأعداد ما سوف يساعد على مقابلة متطلبات التنمية، والمساهمة في الاستغناء عن العمال الأجانب الذين اقتضت النهضة في المجالات المختلفة

أن يستعان بأعداد كبيرة منهم من بلدان مختلفة، مما رفع عدد العمال القادمين إلى المملكة في المهن المختلفة، والمجالات المتعددة إلى ما يقرب من ستة ملايين، وهو عدد تحاول المملكة أن تقلل منه بتهيئة العمالة السعودية المدربة؛ والمعاهد الفنية يتم تطويرها ونشرها والتوسع في ذلك لهذا الهدف.

وبدأت الجامعات تفتح أبوابها للتعليم العالي، وتخرَّجَ حتى الآن من حاملي الماجستير والدكتوراه أعداد كبيرة، والتسابق في هذا المجال على أشدّه، وهذا يخدم المملكة في أن أغلب هذه الرسائل للماجستير والدكتوراه خاصة في المجالات العلمية هي عن المملكة، والحقول في المملكة لا تزال بكراً تحتاج إلى العلماء والباحثين ليغوصوا على ثرواتها سواء كان ذلك في مجال الجيولوجيا، أو النبات، أو الحيوان أو في المجالات الأخرى.

وانفتح الباب بين جامعات المملكة والجامعات في العالم للتعاون العلمي، والبحوث المشتركة؛ ومع الوسائل الحديثة للاتصال، تم ربط الجامعات

بمثيلاتها في العالم، أصبحت بعض جامعات المملكة تعدّ في الصفوف الأولى بين الجامعات العالمية في بعض ما أقدم عليه باحثوها، ممن وقفوا أنفسهم للعلم، ومتابعة المستجد فيه.

والإقبال على التعليم في المملكة منذ بدئه كان عظيماً حتى أن المملكة لم تحتج في يوم من الأيام أن تضع في قرار سياستها أن التعليم إلزامي كما فعلت بعض الدول، لأنها لم تحتج إلى ذلك لأن الناس أنفسهم طبقوا هذا عملياً، حتى إن الأجهزة الحكومية في مجال التعليم كانت تجري لاهثة تحاول تلبية طلب الأهالي فتح مدارس، وإلحاق أبنائهم بها، ووصل الأمر في مرحلة من المراحل إلى أنه صار يفتح مدرسة كل يومين، وأحياناً كل يوم وهو ما لم يحدث في تاريخ التعليم في أي بلد من البلدان.

وفي أقل من خمسين عاماً ارتفع عدد الطلاب الملتحقين في المدارس والجامعات إلى ثلاثة ملايين ونصف، وكان بدأ بأعداد لا تصل إلى أكثر من

مئتين أو ثلاث، وهذا يدل على مدى عمق الحضارة في هذا البلد الأصيل، لأن تقدير العلم ومعرفة فوائده، وتهيئة أسبابه من المسؤولين، والاستفادة من مرافقه من قبل أبناء البلاد، يدل على نضج في التفكير، وبعد في النظرة إلى المستقبل؛ وقد بدأ الالتفات إلى التركيز إلى النوع، والارتقاء به، بعد أن تم الاطمئنان على العدد، واستيعاب من يمكن استيعابه، وإيصال طعم العلم إلى تذوق الناس، وإيصال إشعاعه إلى الأنفس المتعطشة له.

والمملكة اليوم، وهي تعيش في بوتقة العالم، الذي قرب بين أجزائه، وماثل بين صفاته، لم تعد بمعزل عما يجري فيه، فهي مساهمة في النهوض بالفكر الإنساني عالمياً، بجهودها المنفردة، وجهودها المشاركة مع مراكز العلم مثل الجامعات العالمية؛ والهيئات العالمية، مثل منظمات العلم والثقافة العربية والإسلامية؛ والمنظمات العالمية مثل اليونسكو.

والتعليم يحظى من الدولة بالرعاية الكاملة،

ويأخذ من الميزانية قسطاً وافياً، والمملكة من الدول القلائل التي تفتح أبوابها لطلاب العلم مجاناً، بل وتعطي المبالغ السخية مكافآت شهرية لطلاب الجامعة، وبعض طلاب المدارس في بعض المراحل، وفي المناطق النائية؛ وترعى شؤون المعوقين بإنشاء معاهد تعليم وسكن لهذه الفئة التي توليها الدولة نظرة خاصة تأخذ حيزاً من الجهد والالتفات.

وسوف يبقى التعليم مرعياً الرعاية اللائقة به، وسوف يحظى بالتطوير، ومواكبة العصر، في حدود ما يخدم شخصية السعودي، ويبقي على أصالته دون تقليد لأحد، ودون الاضمحلال في أنظمة أجنبية مستوردة، وقد أثبت الوقت مقدرة المخطط السعودي والمنفذ السعودي لذلك، وسارت السفينة رخاء في بحر آمن مطمئن، وطريقها إلى بر الأمان بإذن الله مأمون مكفول.

المدينة الأكاديمية

"المدينة الأكاديمية لكليات تعليم البنات بالرياض" موضوع مقال كتبته استجابة لرغبة الأخ الكريم معالي الأستاذ الدكتور علي بن مرشد المرشد، الرئيس العام السابق لتعليم البنات، في خطابه لي برقم ٢٣٢/١/٢٥ في وتاريخ ٢٦/١٠/ ١٤١٨ لنشر المقال في العدد الأول من النشرة الشهرية التي تصدرها وكالة الرئاسة لكليات البنات، لتتزامن مع حفل وضع حجر الأساس لمشروع المدينة الأكاديمية لكليات البنات بالرياض، الذي سوف يشرفه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني – حفظه الله – .

المدينة الأكاديمية لكليات البنات بالرياض [١]

تعليم البنت نبتة مباركة بدأت رسمياً في نهاية عشر السبعينيات الهجرية، بدأت صغيرة كما يبدأ أول عمل ناجح مبارك، ثم اتسعت دائرتها، وانداح تعليم البنت في المملكة تدريجاً. وكان الإقبال عليه منقطع النظير، لتعطش الناس لهذا التعليم، وإيمانهم بفوائده، وكانوا جربوه في المدارس الخاصة المحدودة العدد، والمكان، فحمدوا نتائجه، فجاء التعليم الرسمي للبنت مرحباً به، متحمساً له.

ثم بدأت تزيد الأعداد، ففتحت المدارس في المدن ثم في القرى، ثم في الهجر والمراكز، وأصبح تعليم البنت يسامق تعليم الابن، وبدا الأمر كأنه

---

(١) لعلها نشرت، كما كان مرتباً، في النشرة التي صدرت مع وضع حجر الأساس لمشروع المدينة الأكاديمية للبنات بالرياض، والذي شرفه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني.

منافسة، فقفز تعليم البنت درجات الاكتمال سريعاً، رغم تأخر إنشائه عن تعليم الابن بأكثر من ثلاثين سنة. ومثل تعليم الابن كان الاعتماد في أغلب تعليم البنت على العنصر غير السعودي، لعدة سنوات، مما أوجب الالتفات لهذه الناحية، فأنشئت كليات البنات التي بدأت تهيئ لإعداد مدرسات يملأن شواغر المراكز في التعليم عملياً وإدارياً.

والآن تأتي خطوة متوجة للجهود المبذولة حتى الآن، وهي إنشاء المدينة الأكاديمية لكليات البنات في الرياض، وهي خطوة ينطوي تحتها خير عميم في مجال تعليم البنت، وبإنشائها، ونتائج هذا الإنشاء سوف تتمكن الجهات المسؤولة عن تعليم البنات تحت توجيه رئاسة تعليم البنات من سد فراغ متواصل، مع تواصل الاتساع والترقي في هذا الجانب المضيء من التعليم.

وافتتاح صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لفتة كريمة تدل على اهتمام

سموه بالتعليم عموماً، وبتعليم البنت خصوصاً، وهذا الاعتناء، وهذه الرعاية، وهذه الالتفاتات الحانية هي ما تعودنا عليه من قادتنا في ظل توجيه خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه النبتة مباركة، وأن يعم خيرها هذا القطاع الحيوي المهم.

اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم

كتب لي معالي الأخ الدكتور فؤاد بن عبدالسلام الفارسي برقم: م/ر/١٢/٣٥ في ١/٣/ ١٤١٩، في جهودهم لتغطية بعض الجوانب الثقافية والفكرية والاجتماعية، بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة، وذكر معاليه أنه تم اختياري لكتابة موضوع بعنوان: "اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم"، ليبث بلغاتها العربية والإنجليزية والفرنسية أثناء الاحتفالات، وحددت الصفحات بست، على أن ترسل مباشرة إلى وكالة الأنباء السعودية.

واستجبت لهذه الرغبة الأخوية الكريمة، وكتبت الكلمة التالية راجياً أن تكون وافية بالغرض، وقد صدرت في جملة ما صدرت فيه في صحيفة عكاظ في العدد ١١٧١٠ في ١٤١٩/٥/٢٢هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٣م وصدرت كذلك في صحيفة الرياض في اليوم نفسه.

اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم[١]

انشغل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- باستعادة ملك آبائه وأجداده، وتأسيس المملكة العربية السعودية، فوقف أول وقته على القضاء على الفرقة، والمنازعات والعداوة بين الفئات، ليوحد البلاد، ويوطد الأمن.

لم يكن ذلك بالأمر الهين، وإنما احتاج إلى وقت طويل، وجهد مضنٍ، وتخطيط، من أهم جوانبه توفير العناصر القادرة على المساهمة في تشييد البناء معه، وتثبيت قواعده، فوجد أنه بحاجة إلى فئات من المتعلمين، أهمها:

الفئة الأولى: علماء في الدين فطاحل، لهم باع في أمور الدين العميقة، يتولون الفتوى في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تكوين هذا الكيان الحديث

---

(١) نشرت في صحيفة الرياض، ١١٠٣٨ في ١٤١٩/٥/٢٢هـ الموافق: ١٣/٩/ ١٩٩٨م، ونشرت في صحيفة عكاظ: ١١٧١٠ في ١٤١٩/٥/٢٢هـ الموافق: ١٩٩٨/٩/١٣م.

الواسع، ومقابلة المستجدات الفنية الحديثة، وما فيها من أمور معقدة، غريبة على هذا المجتمع.

الفئة الثانية: علماء في الدين بمستوى مجز، يساهمون في مقابلة متطلبات المجتمع الدينية، من إمامة، ودعوة وإرشاد، وتبصير للناس بما فيه صالح دينهم ودنياهم، خاصة عندما بدأ التخطيط لِهجرِ البادية.

الفئة الثالثة: متعلمون، لهم مقدرة على التحرير والكتابة والحساب، وإجادة التخاطب مع البلدان الخارجية، والدول المهمة، ومقابلة متطلبات الإدارة المختلفة.

عندما تبلورت الخطة في ذهنه، وعرف حاجته، وحدد خطوات البدء في التنفيذ، في ضوء الإمكانات، والظروف القائمة، وجد أن بإمكانه البدء بالاستفادة من الكفاءات المتوافرة في المناطق المتعددة، فاختار منها ما يتفق مع ما يحتاجه، وما تتقنه هذه الكفاءات، وكان من أهم مصادره في

هذا، للجانب الديني، حلقات الدروس في الحرمين الشريفين، وحلقاتها في جوامع المدن الكبرى في بلاده، فاتخذ من هؤلاء قضاة ومدرسين، وأئمة، ومرشدين.

أما الجانب الإداري، فوجد حاجته في خريجي المدارس النظامية العثمانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، مثل مدرسة الفلاح، ومدرسة النجاح، والمدرسة الصولتية، وغيرها.

واستتباب الأمن، وتوحيد البلاد، وبدء توفر أسباب المعيشة شجع أبناء نجد الذين في العراق، والبحرين، مثلاً، على العودة لبلادهم، فاستفاد من علمهم، ووضعهم في الأماكن التي هي في أمس الحاجة إلى مثل معرفتهم، وكان لبعضهم حظوة في ديوانه، وكانوا موضع ثقته، وعند حسن ظنه.

ومن المصادر التي التفت إليها، واستفاد مما كسبه بعض أفرادها الذين درسوا في بعض مدن نجد على منهج شبه حديث، المدارس أقامها أناس

استفادوا مما رأوه من مدارس في خارج البلاد، غرفوا من معينها، وعادوا لبلادهم لينشروا هذا الضياء المبارك، وقد كان لطلاب هذه المدارس أثر في مقابلة الحاجة وسد الثغرات في الإدارة.

وقد أدرك – رحمه الله – قيمة المتعلم، دارساً ومدرساً، ومدى مساهمته في نهضة المجتمع، وحمل عبء التنمية في دولة مقبلة، فاقتنص كل كفاءة متوافرة، في أي علم، ووضعها في المكان المتعطش لمثلها. ولهذا اهتم – رحمه الله – في تلبية حاجة أمهات المدن، في أول الأمر، ثم اهتم، ما أمكنه ذلك برعاية القرى.

وكانت الالتفاتة الكبرى، منذ البداية، معالجة أمور البادية ووضع خطة لاستقرارهم، وتثبيتهم في أماكن مختارة، إذ أن ذرع الصحراء لم يعد يتواءم مع المجتمع الحديث الذي يتطلع إليه، فأنشأ لهم هِجَراً يقيمون فيها إقامة مدنية، اختار أماكنها بدقة وعناية، فنجحت في تقريب المتنافرين،

والتوحيد بين المتفرقين، وانتظموا في سلكها، فأصبحوا مواطنين لهم دورهم في خدمة بلادهم، بطرق منظمة تجعلهم جزءاً مندمجاً في هذا الكيان الممتد.

استفاد -رحمه الله- لهذه الهجَر استفادة تامة من المتعلمين الذين وجدهم معدين جاهزين للمساهمة. ومع ازدياد عدد الهجَر، وازدهار المدن والقرى، نتيجة إلقاء السلاح، واستتباب الأمن، وانسياب مسارب التجارة والاقتصاد، انتقل -رحمه الله- فكراً، وعملاً، إلى التركيز على التعليم، والتوسع فيه، على نطاق متعدد الجوانب، فدعّمَ ما كان قائماً من مؤسسات التعليم، وشجع على زيادة حلقات التدريس، وعضّد المدارس بالمال، والإعاشة للمفترين.

ثم تلا ذلك فتح مؤسسات للتعليم جديدة، بعضها يماثل ما كان قائماً، وبعضها جديد، يوائم التطور، ومتطلبات الإدارة الجديدة والتنمية المقبلة،

والتوسع المتوقع، وعلى هذا حُدِّدَت المناهج، والخطط، والسنوات، لتواكب متطلبات العمل فيما بعد.

بدأ تنظيم التعليم بإنشاء إدارة المعارف العامة، في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ورُبطت بالنائب العام في مكة المكرمة، ونُظّمتْ بحيث تؤدي دورها على الوجه المرضي، فَجُعِلَ لها مجلس، وهيئة للإدارة، ومكتب للتفتيش. واختيرت مكة المكرمة لتكون مقراً لها، لمركز مكة المكرمة الديني، ولمستوى التعليم المتقدم فيها.

وكان من أوائل ثمار هذا التنظيم الأمور الآتية:

أولاً: إنشاء المعهد العلمي السعودي، في مكة المكرمة، في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، وهو مرحلة ثانوية لإعداد المعلمين، للتدريس في المدارس القائمة، والمدارس المزمع إنشاؤها. وجُعلت مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات. وعند تخرج الطالب منه يكون قد أمضى في الدراسة عشر سنوات.

ثانياً: إنشاء مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٤ هـ/ ١٩٥٣م. تمهيداً لسد حاجة المملكة في العلوم الحديثة، والمساهمة في مجالات النمو في الأعمال المختلفة، وتعدُّ مرحلة ثانوية، ولأن طبيعة الدروس فيها علمية حديثة تطلّب الأمر فيها الاستعانة بمدرسين من مصر.

ثالثاً: الابتعاث إلى الخارج، وقد بدأ التفكير في هذا عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ليكون رافداً لتغذية مراحل التعليم، وملء المراكز المحتاجة. وكانت أول بعثة، أرسلت في تلك السنة، إلى مصر، ولكن الحرب العالمية الثانية فيما بعد، أعاقت السير في هذا السبيل، فتوقف الابتعاث، وعاد بعض الدارسين من الدفعات الأخيرة، دون أن يكملوا، ولم يستأنف الابتعاث بانتظام إلا عند نهاية الحرب العالمية الثانية، في عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م وكانت النواة من المعهد العلمي ومدرسة تحضير البعثات، وكان العدد محدوداً في أول الأمر، ثم ازداد مع

مرور السنين، حتى أصبح من الصعوبة إيجاد أماكن لهم في جامعات مصر.

رابعاً: أنشئت المدارس التحضيرية والابتدائية منذ عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م في كبريات المدن في المملكة، مثل مدينة شقراء، وعنيزة، والمجمعة، واستمر فتح المدارس سنة بعد أخرى.

ونظرة إلى الإحصاءات للطلاب والمدرسين والمدارس بعد هذا التنظيم، نجد أنها كما يلي:

في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، بلغ عدد المدارس ١٤٦ مدرسة، والمدرسين ٦٣٤، والطلاب ١٦,٠٢٩.

واستمرت قافلة التعليم في مسارها المرسوم، وأصبحت الزيادة في هذه الأعداد منتظمة، فبعد سنة واحدة، قفز عدد المدارس إلى ١٩٦، والمدرسين إلى ٩٤٣، والطلاب إلى ٢٣,٨٣٥.

وعند وفاة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م أصبح عدد المدارس ٣٢٦، والمدرسين ١,٦٥٢، والطلاب ٤٣,٧٣٤ .

وكان هذا الانتظام في الزيادة تمهيداً لانطلاقة التعليم المقبلة، بعد وفاة الملك عبدالعزيز، وإنشاء وزارة المعارف، قاد دفة السفينة فيها الأمير فهد بن عبدالعزيز «خادم الحرمين الشريفين: الملك فهد بن عبدالعزيز» ومعها جاء عهد التوسع في الابتعاث، ثم إنشاء أول جامعة، لتتبعها فيما بعد جامعات.

هذه لمحة خاطفة عن عبقرية رجل فريد في الرجال، أحب العلم، ونشره، ووضع الأسس لازدهار مؤسساته، وغذّاها بفكره النيّر، وتابع سيرها وإنتاجها.

دور المرأة السعودية
في التنمية السعودية، وإعداد النشء

كلمة كتبتها في ١٤١٩/٢/٢٨، استجابة لرغبة الأخ المهندس عبدالعزيز اليوسفي، مدير عام مركز الأمير سلمان الاجتماعي، في أن أشارك في الإصدار المزمع إعداده بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، مؤكداً ألا تزيد عن صفحة واحدة، ولهذا عندما استجبت لهذه الرغبة، ورأيت أن صفحة لا تفي بحق المرأة السعودية، ولا بالتنمية قلت: إن «دور المرأة الذي حددتموه في خطابكم يحتاج إلى كتاب ضخم، وظلم له أن يختصر في صفحة، ولعل القارئ الكريم يلحظ هذا في هذه الكلمة المختصرة.

دور المرأة السعودية
في التنمية السعودية، وإعداد النشء [١]

أول أدوار المرأة في أي بلد يبدأ بإعداد النشء، وهذا يعني أنها الحجر الأساس في تكييف التنمية، بما تنشئ عليه الابن أو البنت، فإن كانت في مجتمع غير متعلم وكانت أماً صالحة، ومهتمة بأبنائها وبناتها، أرضعتهم لبان التربية الصالحة السائدة في المجتمع، وقوّمت عودهم وهو لا يزال رطباً، فعلمتهم الاستقامة، وأبعدت عنهم الميل والاعوجاج، وزرعت فيهم حب الوطن، والحرص على خدمته، وعوّدتهم عل الاستفادة من وقتهم وعدم إضاعة جزء منه، فعرفوا كيف يؤدون حق المساحة التي يقفون عليها؛ وتابعت مراحل نموهم، مرحلة مرحلة، وفرّقت في معاملتهم بين مرحلة وأخرى.

---

(١) نشرت في الإصدار الذي أخرجه مركز الأمير سلمان الاجتماعي بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

وهذا كان دأب أمهاتنا قبل أن يبدأ تعليم البنت. ودور المرأة السعودية زاد إشراقاً، بعد أن تعلمت، فضمت إلى العادات الحميدة، ما اكتسبته من علم، وما استفادته مما قرأته عن طرق التربية الحديثة، وأصبحت بعلمها لا تخزن علما فقط، وتستدعيه عند الحاجة، ولكن تزيد فيه نتيجة التجربة المتكررة، والملاحظة الدقيقة، وتراعي فيما تأتيه، وما تدعه، طبيعة بلادنا في ضوء ديننا، وعاداتنا، وتقاليدنا، وما تنفرد به شخصية مجتمعنا عن المجتمعات الأخرى، فتجعل من نشئنا نشأً لا يسير مقلداً الآخرين، تقليداً أعمى، وإنما يحفر جوادّ في سيره، له وحده، يميَّز بها، ويُعرف بها، وتكون علماً عليه، ووساما يفاخَر به.

كل خطوة من خطوات التنمية التي نمر بها فيها طابع المرأة السعودية، لأنها هي التي وضعت اللبنة المباركة في تربية الفرد السعودي، الذي رفع على كتفيه القويتين محمل التقدم والتطور، وهودج

التنمية في جميع القطاعات.

هذا هو دورها المهم الخفي، والذي هي فيه صاحبة فضل لا ينكر. ثم يأتي دورها الواضح، دور الزوجة، التي تحمل مع زوجها حملاً أو حملين، حِملَ رعاية البيت ومن فيه، أو المساهمة في عملها في قطاع من قطاعات التنمية، وخدمة المجتمع، مدرسة، أو طبيبةً، أو ممرضة، أو موظفة في عمل إداري، أو الحملين معاً في رعاية البيت ومن فيه جزءاً من النهار، والمساهمة عاملة في مجال من المجالات المختلفة، جزءاً آخر منه.

ويتبين لنا حجم مساهمتها من النظرة في أعداد الخريجات، سواءً كن عاملات في وظائف، أو ربات بيوت.

وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن المرأة تكسب من العلم ما لا يقل عما يكسبه الرجل، بل سُجِّل في مواقف عديدة أنها بزّته، لأسباب اتفق عليها دارسو هذا الجانب. ويكفي أنها مع ابنها في رعايته منذ أن

يولد حتى تفارق هي الحياة، وتبقى مرشدة له، ويبقى هو سميعاً مجيباً لها، في ضوء تجاربها، وفي ضوء أمر الله له بطاعتها، والبر بها.

ومادام الأمر كذلك فالمرأة قد رَكزَت كتفيها للحمل الثقيل الذي ائتمنها عليه المجتمع، وحملته بكفاية ومقدرة، وهي فخر لنا أمّاً وزوجة، وأختاً، وبنتاً، والطريق ممهد، والسائرات يحثثن الخطو، بثقة واطمئنان ولهن من الله التوفيق.

صدى الذكرى [١]

صدق من قال: «والذكريات صدى السنين الحاكي»، وما نطق إلا حقاً، وحكمة. إن صوت الذكرى يأتي من بعيد، تحسبه آت من وسط سحاب، أو خارجاً من بئر، تبهت من الذكرى فيه هوامش، ويبقى المتن واضحاً، تسمع له الأذن رنيناً، فتطرب له، وتنظر العين منه صورة فتكتحل بها، وتتلقاه الروح فتبتهج به، ويلامس النفس فيملؤها سروراً وغبطة. ترى المتذكر وقد غرق في تفكير عميق، ولا تعدم إذا دققت النظر أن ترى ابتسامة تمر على شفتيه، أو غمامة حزن رقيقة تغطي أديم وجهه، دون أن يدري بهذه، أو يعلم بتلك، فهو في شغل عنها بملاحقة خطوات الذكرى.

والذي أوجب أن أقول ما قلت عن الذكرى، ذكرى هزّتني، عندما استعرضتها في شريط بهج

(١) نشر في مجلة وزارة المعارف «المعرفة» العدد «٤٣» في شوال ١٤١٩هـ/ فبراير ١٩٩٩م.

من الأحداث. أثارها هدية ثمينة قدمها لي حبيب، على حين غفلة؛ كانت مفاجأة لي مسرة، لم أحلم أن أحصل عليها، وهي صغيرة في حجمها، ولكنها كبيرة في قدرها، عميقة في تأثيرها؛ لها في النفس هزّة، وفي الاعتبار مكانة.

مدّ لي هذا القريب الحبيب وريقة مطوية، وهو خارج من بيتي، بعد زيارة أخوية قصيرة، وودعني وسار؛ وفتحت الورقة فيما بعد، فوجدت ما ملأني غبطة وحبوراً، وجدت أرقاماً وتواريخ عن التحاقي بجامعة لندن على حساب الدولة. هذه التواريخ ملأى بالمعاني:

من هذه المعاني سرعة الإجراء بدءاً وانتهاءً، فلم يمض بين طلبي ضمي، والأمر بالضم، وتنفيذ الأمر، إلا أربعة عشر يوماً، وأنا في لندن والإجراءات في المملكة؛ وهذا تفصيل ذلك:

١- أرسلت برقية من لندن لجلالة الملك سعود -رحمه الله- في ١٠/٥/١٣٧٣/ (١٥/١/١٩٥٤) بعد

وفاة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بما يقرب من ثمانية وستين يوماً إذ كانت وفاته في ١٣٧٣/٣/٢هـ (١٩٥٣/١١/٨) أطلب في البرقية إلحاقي بالبعثة.

٢- جاءت برقية من جلالة الملك -رحمه الله- في ١٣٧٣/٥/١٥هـ (١٩٥٤/١/٢٠م)، إلى السفارة بلندن (نجدية - لندن) يقول فيها:

«تحققوا عنه، فإن كان التحق لإتمام دراسته، وأن سيرته طيبة، ويؤمل منه خير، فألحقوه بالبعثة».

٣- أجابت سفارتنا في لندن بتأييد طلبي، وأن التكلفة السنوية للدراسة (٧٠٠) جنيه، وأنها ترى إلحاقي من بداية الدراسة بالجامعة من ١٣٧٣/١/١ هـ (١٩٥٣/٩/٩م).

٤- جاءني برقية عن طريق السفارة بتوقيع الشيخ محمد بن دغيثر -رحمه الله- في ١٣٧٣/٥/٢٣هـ (١٩٥٤/١/٢٨م) بنبأ إلحاقي.

٥- برقية من جلالة الملك -رحمه الله- في ٥/٢٣/ ١٣٧٣هـ (١٩٥٤/١/٢٨م) إلى ابن سليمان -رحمه الله-

في جدة، بتعميده بإلحاقي بالبعثة، بجامعة لندن، ابتداءً من محرم ١٣٧٣هـ على حساب الحكومة لإكمال دراستي.

٦- برقية من ابن سليمان -رحمه الله- يقول فيها: «اعتمد الخادم تنفيذ الأمر من محرم ١٣٧٣هـ».

والمعنى الثاني المستقى من هذه التواريخ أن هذا جاء بعد وفاة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مباشرة، ويمكن أخذ مجرى هذه المعاملة مقياساً للعبء اليومي للمعاملات، ومقارنته بالعبء اليومي لأي مسؤول اليوم، ليُعرف بهذه المقارنة طول الطريق الذي قطعناه منذ ذلك اليوم إلى اليوم، والتطور الذي حققناه، ولعلي أول طالب سعودي يدرس على حساب والده في بلاد أجنبية، يكتب للملك مباشرة، فيجيب طلبه في هذه المدة القصيرة، ولا يتوقع في سنوات تلت أن بإمكان من يدرسون خارج المملكة على حسابهم الخاص أن يطلبوا الالتحاق بالبعثة، دون أن يمر طلبهم بجهات عدة، تزن

طلبهم، في ضوء الشروط الموضوعة، حتى لا يحدث خلل من جراء سيل الطلبات المندفع.

وإذا كان في هذا مجال واضح للمقارنة، وإدراك للفرق بين ما كنا عليه، وما صرنا إليه من تقدم وتخطيط، فهناك مثل أوضح، وقد يكون في ذكره مفاجأة مدهشة لكثير من الناس، لبعدهم عنه، وغرابته لما اعتادوه اليوم، وهو أن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- كانت تُقرأ عليه أسماء ركاب الطائرة المغادرة من الرياض إلى جدة، هذا الخبر سوف يرفع حواجب كثيرين دهشة، خاصة إذا حاولوا أن يتصوروا قراءة أسماء الطائرات -بَلْهَ الركاب- المغادرة للرياض، على خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله- اليوم.

والمعنى الثالث الشروط التي طُلب أن يتأكد أنها تتوفر في الطالب، فهي شروط محدودة، ولكنها أساس ووافية، واضحة في هدفها، مؤدية لغرضها، مطمئنة لواضعها، فحصول قبول من الجامعة،

والالتحاق بها مهم، للنظر أصلاً في الطلب، وأهم من هذا سيرة الطالب وخلقه، ثم التأكد من أنه بعد هذا يرجى منه خير؛ وهذا الشرط يدخل تحته كثير من الأمور، أقربها إلى الذهن التخصص، وفائدته للفرد والوطن.

أما رد السفارة فجاء مطمئناً، ولا غرابة فصلتي بمن في السفارة جميعاً كانت قوية وطيبة، وأخوية حميمة، ومع الشيخ حافظ وهبة -رحمه الله- فأبوية ملأى بالعطف.

وقد شَجَّعتْ لهجة برقية الملك -رحمه الله- الأخ الكريم الشيخ عبدالرحمن بن صالح الحليس، أن يحدد المبلغ اللازم للطالب، وكان كريماً في تقديره للمبلغ؛ وكان الأخ عبدالرحمن حينئذ السكرتير الأول في السفارة، وكان الرجل الثاني فيها، وكان فعّالاً لثقة الشيخ حافظ -رحمه الله- بأمانته وكفاءته.

وعون الأخ عبدالرحمن لي عون منقطع النظير، عونٌ أخوي ضافٍ، لا حدود له، لم أشعر عندما

وصلت لندن أنني وحيد، فقد كان دائماً قريباً مني عند الحاجة، وحتى إذا لم يكن هناك حاجة؛ وقد ساعدني منذ أن وطئت قدماي أرض لندن، وبقي بجانبي حتى نبت ريشي، واشتد ساعدي، ولم تنقطع الصلة به مستشاراً وموجها، حتى انتقاله من لندن. وعونه لي، في أول الأمر، شمل البحث لي عن أسرة مناسبة، أسكن معها، وأتعلم منها، ومعها، اللغة الإنجليزية السليمة، وبأسرع مدة، ومهد لي دخول الجامعة. وكان عندما يشعر بجفاف روحي، نتيجة الغربة، يزورني، فأشعر أني مع فرد عزيز من أهلي، يرفع معي الكلفة، وآنس بمجلسه، وكرم ضيافته، فأعود إلى الأسرة الإنجليزية موفور النشاط، جسماً وروحاً. والأخ العزيز عبدالرحمن هو صاحب الاقتراح في الانضمام إلى البعثة، وهو الذي حرز البرقية التي أرسلتها إلى جلالة الملك -رحمه الله- ذلك لأني أبديت له جهلي بكيفية مخاطبة الملك، أو معرفة تحرير خطاب لمسؤول، يحوي طلباً، رغم أني أحمل بكالريوس كلية دار العلوم،

وتخصصي في اللغة العربية والشريعة الإسلامية يتوقع معه أن يكون هذا سهلاً عليّ، ولكن التجربة في هذا المجال تسبق العلم، وأشعر دائماً أن الحق ليس مع الذين يقولون إن خريج الجامعة لا يستطيع أن يحرر خطاباً، فكلنا كنا كذلك.

والأخ عبدالرحمن هو الذي كتب الرد على تساؤل الملك -رحمه الله- عني، وهو الذي أثنى ومدح، وهو الذي اقترح المبلغ الوارد في البرقية، وإن كانت المالية أنقصته إلى (٥٤٠) جنيهاً في السنة، وهو مبلغ كاف مريح؛ وأقول هذا تنويهاً بفضل الأخ عبدالرحمن، ومع هذا شكري وامتناني وهو جهد المقل.

ومن المعاني التي يمكن أن تخرج بها من هذه الذكرى المبلغ الذي كان يكفي، حينئذ، طالباً في الدراسات العليا، براحة تامة، وبمقارنة هذا المبلغ بحاجة الطالب اليوم في لندن، يظهر التأثير الكبير للزمن على مستوى المعيشة، وهكذا هي الذكرى تستدعي ما يوجب العجب.

ومن المعاني، التي يمكن أن تُستقى، العناية بإفادة الأطراف في الأمر، فالشيخ محمد بن دغيثر -رحمه الله- أخبرني، بصدور الأمر، والشيخ عبدالله السليمان -رحمه الله- أخبر الملك -رحمه الله- باعتماد الأمر، وتنفيذه من التاريخ المحدد.

وبعد:

أليست هذه ذكرى تستحق الاستعادة؟ وأليست الاستعادة تستحق اجترار اللذة؟ وأليس مرور خمسين عاماً على ذهنٍ كان فتيّاً، ثم شَابَ، وعلى ذاكرة كانت حادة، ثم كلّت وخبا ضوؤها، أمر يستحق الالتفات إلى الخلف، وعلى الأقل – مع لذة التذكر – يرجى الثواب للترحم على من سلف إلى ربه، والامتنان لمن نرجو له الصحة والسعادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- برقية من لندن من عبدالعزيز الخويطر في ١٠/٥/ ١٣٧٣ إلى جلالة الملك بطلب إلحاقه بالبعثة.

٢- في ١٥/٥/١٣٧٣هـ برقية إلى نجدية لندن يقول: تحققوا عنه فإن كان التحق لإتمام دراسته، وأن سيرته طيبة، ويؤمل منه خير، فألحقوه بالبعثة.

٣- إجابة من السفارة في ٢٢/٥/١٣٧٣هـ بتأييد طلبه، والثناء عليه، وأنه يكلف سنوياً حوالي ٧٠٠ جنيه، ويرى إلحاقه من بداية الدراسة بالجامعة، من ١/١/ ١٣٧٣هـ.

٤- برقية محمد الدغيثر إلى عبدالعزيز الخويطر بواسطة السفارة في ٢٣/٥/١٣٧٣هـ يبلغه أنه صدر الأمر السامي بإلحاقكم بالبعثة من محرم١٣٧٣هـ.

٥- برقية من جلالة الملك في ٢٣/٥/١٣٧٣هـ إلى ابن سليمان في جدة بتعميده بإلحاق عبدالعزيز الخويطر بجامعة لندن ابتداء من محرم ١٣٧٣هـ على حساب الحكومة لإكمال دراسته.

٦- برقية في ٢٤/٥/١٣٧٣هـ من ابن سليمان يقول فيها اعتمد الخادم تنفيذ الأمر من محرم ١٣٧٣هـ.

سياسة التعليم في المملكة وأهدافه

طلبت الأخت الدكتورة موضي بنت فهد النعيم مديرة عام الإشراف التربوي بخطابها رقم (٢/١١١٢ ت) وتاريخ ١٤١٩/٧/٥ أن أشارك في اللقاء التربوي السابع الذي سوف تدعو إليه الرئاسة العامة لتعليم البنات، وكانت مشاركتي في الموضوع التالي:

«سياسة التعليم في المملكة وأهدافه»

وقد شاركت بالكلمة المرفقة في اللقاء الذي بدأ في ١٤١٩/١٠/١٣ في مركز الأمير سلمان الاجتماعي.

لكي نعرف منطلق سياسة المملكة في التعليم، وأهدافه، لابد أن نستحضر الحضارة الإسلامية، ومرتكزاتها الدينية، فمنها المنبع، وهي المسيّرة، وفيها الأداة؛ فالإسلام، في أول سورة من كتاب الله، أمر بالقراءة، وهي باب العلم، والمدخلُ الواسع إليه، وعن طريقها يعلم الإنسان ما لا يعلم، مما لا حدود له، متنوراً بإشعاع المعرفة، ومبدداً ظلمة الجهل، جالباً لنفسه، ولمجتمعه، السعادة، ومبعداً التعاسة والشقاء.

فالعلم بهذا أمر ضروري للإنسان، ذكراً كان أو أنثى، كبيراً كان أو صغيراً، فالأمر أمر عقل، والعقل موجود في كل إنسان، والعلم غذاء للعقل، يتدرج الغرف منه، حسب السن والمقدرة، لهذا كان للرعيل الأول من الصحابة، رجالاً ونساءً، السبقُ في تلقف ما كان يلفظ به الرسول ﷺ قرآناً كان ذلك أو حديثاً، فكونوا بذلك حصيلة علم، وملكة فهم، واستنباطٍ، وعن هذه الملكة أتقنوا القدوة في

العمل، وفي حسن التصرف، مما أصبح عادة ونهجاً مشت عليه الأجيال الموفقة فيما بعد، وتوحد فيه إيمان المسلمين في أدنى الأرض وأقصاها، قولاً وعملاً.

ومن ذاق طعم العلم الحقيق لم يقنع منه بالقليل، بل استزاد واستزاد واستزاد، ومن هذا جاء مفسرون نابهون، ومحدثون واعون، وفقهاء مجيدون، وأصوليون بارعون، وعلماءُ مجتمع محيطون بأموره، في ضوء ما جاء به الدين الحنيف، والشريعة المحمدية السمحة، فتكون من ذلك علم واسع، ذو شعب متكاملة، وإحاطةٍ شاملةٍ بأمور الحياة، فتبلورت بذلك حضارة إسلامية أنارت الحياة لأهلها، وهدتهم إلى أقوم السبل.

وصار العلم هدفاً، وواجباً على كل مسلم ومسلمة، ولا يكمل الواجب إلا بمعرفة ما على المسلم الإتيان به، وما عليه تجنبه.

وأضحى كل جيل سابق مثلاً حسناً لكل جيل

لاحق، وقدوةً تحتذى، ودافعاً قوياً للاستيعاب والإبداع؛ فحاول كل جيل أن يضيف إلى ما وجد نصّاً، أو نهجاً، أو ترتيباً، أو تبويباً، إثباتَ مشاركة، أو مساهمةً في تسهيل مراجعة، أو تطبيقاً لمعالجةِ أمرٍ جاء به تطورُ المجتمع، وأوجبته حياة جديدة فيه، نتيجة تبلور، أو تفاعل، مع مجتمع آخر قريب.

وكان لابد لكل عصر أن يختار النهج الذي يسلكه لتعليم الناشئة، والشادين، ولتهيئة المعلمين والمتعلمين. وكان المسجد النواة الأولى، وبقي عماداً عالياً قوياً، لهذا الدور، حتى بعد إنشاء المدارس، الملحقةِ بالمكتبات في العصر العباسي، والملحقة في القصور فيه وفيما بعده، وأصبحت مدرسة المسجد، أو حلقةُ التدريس فيه، شِبه موحدة في صورتها بين جميع المساجد في العالم الإسلامي بأجمعه، وبقي هذا النهج قروناً لا يتغير، ورافده الكتاتيب في كل بلد؛ وكانت الكتاتيب تنتشر في الأحياء تهيئ من

أراد أن يلتحق فيما بعد بحلقات المساجد، أو يدخل معترك الحياة مسلحاً ببعض سلاح العلم.

والكُتَّاب، في بلادنا، وهو النواة الأولى للتدريس، في أوائل القرن الرابع عشر، كان هو السِّمة السائدة عموماً في المدن، وأكثر المراجع تحدثت عن المدن الرئيسة، وعلى رأسها مكة المكرمة، والمدينة المنورة. فمن أشهر الكتاتيب في مكة المكرمة في ذلك الوقت كتاب الشيخ محمد الخياط، ومحمد العناني، وعبدالله مجاهد، وعبدالله السناري، وأحمد السُّورْكتي. ويكاد يكون في كل حارة كُتّابا أو كُتّابين، على الأقل، حتى ذكر بعضهم أن ما بمكة المكرمة من الكتاتيب بلغ ثلاثةً وأربعين كُتَّابا.

وكانت الدروس التي تدرس في هذه الكتاتيب، مع تفاوت في بعضها نقصاً أو زيادة، مبادئ القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وحفظ بعض سور منه، أو أجزاء. وقد يزيد بعض القائمين عليها

بعض دروس مُسَهَّلةٍ في الفقه والحديث والحساب، وكان أهل التلاميذ يدفعون مبلغاً محدداً شهرياً، أو سنوياً، حسب مستوى المعيشة، وما هو متبع عادة.

وكان أغلب خريجي هذه الكتاتيب يكتفون بما تعلموه، ويدخلون به معترك الحياة، أو يكونون متطلعين هُم، أو ذووهم، إلى ما هو أعلى وأوفى في التعليم، فيكملون دراستهم الدينية في المسجد الحرام، ملتحقين بالحلقات المختلفة، المتخصصة، والتي بلغت في وقت من الأوقات كما قيل مئةً وعشرين حلقة.

أما كَتاتيب المدينة المنورة فبلغت أربعةً وعشرين كتاباً في وقت من الأوقات، وأشهرها كُتّاب المجيدية، والمحمودية، أما في جدة فبلغت كما قيل تسعة كتاتيب، وقيل إن من أشهرها كُتاب الشيخ خليل أحمد، وكتاب الشيخ محمد الدسوقي.

ويبلغ عدد التلاميذ في الكتّاب الواحد عادة ما بين خمسين وستين تلميذاً حسب سمعة الكُتّاب

وكثافة الحي، ويبقى التلميذ في الكُتَّاب أحياناً إلى أربع سنوات، حسب قدرة التلميذ، ورغبة أهله.

أما في الأحساء فيقال إن عدد الكتاتيب بلغ في وقت من الأوقات أكثر من ثلاثين كُتاباً.

والمناطق الأخرى من المملكة تماثل ما سبق أن قدمناه عن الكتاتيب، ولا تكاد تخلو مدينة من كُتّاب أو كتابين، أو أكثر من ذلك، حسب مستوى التعليم بين أهلها، وانتشار التعليم، ويُسر المعيشة، وتوفُّر المعلم الراغب.

وبعض هذه الكتاتيب مهمتها الرئيسة مساعدة التلميذ على فك الحرف، وهو إنجاز مرموق في ذلك الزمن، وصاحبه مبجَّل عند من لا يفك الحرف، وقصة أحد أبناء القصيم، الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، معروفة، فقد سافر هذا مع قوم في تجارة إلى الشام، كالمعتاد، وباعوا، واشتروا، وأراد اثنان أن يتبايعا، وأن يكتب بينهم كاتب، فجاؤوا إلى رجل منهم اسمه عمر، وسألوه أن يكتب بينهم

مبايعة تمت، وفيها جزء من القيمة مؤجل، فرسم رسوماً ظنوها كتابة، وهي لا تزيد عن أن تشبه وسوم الإبل، ولا تعني شيئا؛ وبعد أن عادوا من الشام إلى عنيزة، وأرادوا أن يصفّوا حساباتهم، لم يجدوا من يحسن قراءة ما كتب، ولأن القاضي هو أعرف أهل البلد علماً وحسن تصرف، لجؤوا إليه، فلما نظر في الورقة التي قدموها، سألهم من كاتبها، قالوا عمر، فأحضره، وطلب منه أن يقرأ ما كتب، فقال للقاضي:

أحسن الله إليك هل تريد مني أن أقرأ في عنيزة كتابة قد كتبتُها في البلقاء، هذا محال.

فضحك الشيخ، وأصبحت هذه الحادثة طريفة تروى، رحم الله أبطالها، فكلهم الآن تحت الثرى.

والكُتَّاب غالباً ما يكون بيْتاً مستأجراً، أو وقفاً، له فناء، وقد يتكون المكان من غرفة أو غرفتين، وأحياناً يكون بيت المعلم نفسه، ويحرص المعلم أن يتوافر في المكان مكان للوضوء، وزير

وشِـرَاب، في الحجـاز، أو قـربة في نجـد، وتفـرش الأرض بالحصـر والحنابل، أو بالحصـر وحدها، أما في نجد، فتفرش بالرمل.

وإذا ختم التلميذ القرآن قراءة زف بحفلة، من المدرسة إلى بيت أهله، حيث يكون هناك مأدبة، ومدعوون، ويُكرّم المعلم اعترافاً بمقامه وجهده. والعُطل الثابتة هي أيام الجمع والأعياد، وقد يساعد المعلمَ الطلابُ الكبار، متقدمو السن والدراسة، فيشرفون على تعليم المبتدئين، وتثبيت النظام، خاصة إذا غاب المعلم أو تأخر، وهو شرف كبير يتطلع إليه بعض النابهين من الطلاب.

ويقعد المعلم أمام التلاميذ، يلقنهم، ويستمع لهم، ويكتب على ألواحهم الخشبية، أو ألواح الأردواز الحديثة، والعصا والفلكة (المِشلّةَ في نجد) معلقتان على الجدار، يراها التلاميذ، وفيها حث وتخويف، فهما أداتا العقاب اللتان لا يجهل فعلهما تلميذٌ من التلاميذ؛ ولاستعمالهما طقوس

واعتبارات، يتمدد المعاقب على الأرض، وتوضع الفلكة في قدميه، ويرفعها طالبان من الجنبين، فيكون أسفلها مهيئاً لضرب المعلم لها بالعصا، بعد أن يتقرر في ذهنه عددُ الضربات وقوتُها.

كانت هذه الكتاتيب العامة، والمدارس المنشأة في بيوت الحكام والموسرين، هي الخطوة الممهّدة في الحجاز للمدارس الأهلية، والحكومية العثمانية.

أما المدارس الأهلية، فوراء إنشائها أناس من خارج الجزيرة، عَرَفوا في بلادهم تعليماً منظماً، فرأوا أن ينشئوا مثله في الحجاز، قربى إلى الله، فأنشئت مدارس في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، تدرِّس بعض العلوم الدينية، والدنيوية، ولضمان استمرارها جعلوا لها أوقافاً مجزية تدر عليها، وتفي بالتزاماتها. وما إن قامت هذه المدارس، وتبين نفعها، حتى أقبل على إنشاء مثلها أناس من أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ وشملت هذه المدارس بعض الوافدين، وتميز

خريجوها، وصاروا نواة جيدة فيما بعد للمدارس الحكومية النظامية عندما أنشئت، وصار ترحيب تام بخريجها في حلقات الحرمين الشريفين، وفي القضاء، وساهم بعض أساتذتها في تأسيس مدارس أهلية أخرى.

وهؤلاء الخيرون، الذين فتحوا المدارس، جاؤوا في الغالب من الهند وإندونيسيا، وزرعوا هذه النواة للتدريس على منهج ثابت في المواد والسنوات، وطريقة التدريس، وأوقات الدوام.

ولعل مما يفيد أن تُقدم صورة مصغرة عن بعض هذا النشاط الخيّر مثلما فعلنا في أمر الكتاب، لأن إعطاء الأمر حقه وافياً يُخرج هذا الحديث عن مجراه، وعن الحجم المقرر له، وأن نمهد فقط لما يهيئ لمعرفة الإرهاصات التي سبقت سياسة التعليم، وأوحت بها.

من أول هذه المدارس الأهلية المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، أنشأتها سيدة هندية ثَريّة اسمها:

(صولت النساء) على أثر حجة قامت بها عام ١٢٩٢هـ، وكان منهجاً مثالاً احتذي فيما بعد في مدارس أخرى، واعْتَمد منهج هذه المدارس على تدريس القرآن الكريم، والتجويد، واللغة العربية، والحساب، والهندسة، وعلوم الدين المختلفة، وإذا كانت هذه المدرسة قد قامت عام ١٢٩٢هـ فقد قامت بعدها المدرسة الفخرية عام ١٢٩٦هـ، أسسها الشيخ عبدالحق قاري، أحدُ مدرسي المدرسة الصولتية، وساعده ماليا على قيامها، واستمرارها، بعض أثرياء الهند من المسلمين.

ثم أنشأ الحاج محمد علي زينل مدرستي الفلاح، واحدةً في مكة المكرمة، والأخرى في جدة، وأنشأ مثلها في بومباي، وكان الهدف منهما إعداد جيل عالم يحمل الأمانة، وينشرها، ويقف أمام التيار الأوروبي الطاغي ويساهم في القضاء على الجهل. وكان -رحمه الله- يقوم بالإنفاق عليهما لما يقرب من ربع قرن، فلما كسدت تجارة اللؤلؤ، وهي

عماد تجارته، جاء عون للمدرسين من بعض المحسنين في جدة وغيرها، ولتعضيدهما مادياً بدأ يؤخذ رسم دراسي من التلاميذ، وفرض لها رسم حكومي، قرش على الطرود البريدية، واستمرتا تحققان أغراضهما، وتتطوران مع التجربة والوقت.

هذا عن نواة المدارس الأهلية في تلك الفترة، أما المدارس الحكومية، التي أنشأها العثمانيون في مكة المكرمة، فلم تجد إقبالاً من الناس، لأن التعليم فيها باللغة التركية، ولأن الأهالي شعروا أن وراءها نية القضاء على اللغة العربية، وإحلال اللغة التركية محلها، وأن خريجي هذه المدارس سوف يجندون في الجيش التركي؛ ومما زاد الأهالي نفوراً اتجاهُ الدولة العثمانية لتتريك الوظائف مما جعل كل ما يأتي من الدولة العثمانية محل شك.

وهذه النفرة من مدارس الدولة العثمانية جاءت لصالح المدارس الأهلية، إذ كان الإقبال عليها منقطع النظير، إذ جاءت ماءً نميراً لأفواه عطشى.

وعندما حاول الشريف حسين أن يسد الفراغ الذي حدث عند تقلص الدولة العثمانية، لم يمهله الوقت، إذ قامت الحرب العالمية الأولى.

وفي المدينة المنورة تأتي بعض المدارس الأهلية والحكومية، ولم يكن أمرُها واضحاً، في المراجع، مثل مدارس مكة المكرمة، لأن بعضها دخل في الوصف في عداد الكتاتيب، ويقال إن عددها اثنتا عشرة مدرسة، وقيل سبع عشرة؛ ومنها مدرسة العلوم الشرعية، ومدرسة الأيتام، ومدرسة النجاح، ومدرسة التربية والتعليم، والمدرسة الخيرية، ومدرسة التهذيب والتعليم.

وكانت المواد التي تدرس فيها، مع بعض التفاوت بينها، العلوم الدينية، والمعلومات المدنية، ونحو اللغة العربية، وصرفَها، والتاريخ والجغرافيا، والحساب والخط.

وقد مر التعليم الحكومي العثماني في المدينة المنورة بما مر به في مكة المكرمة من نفرة الناس

منه، لروح التتريك التي صبغته، وتوقع التجنيد، فأصيب بالشلل، وقضى نحبه مع قيام الحرب العالمية الأولى.

أما في الأحساء فتأتي مرحلة فوق مستوى الكتاتيب، وهي مدارس الوعظ والإرشاد، وقد تميزت بهذا الأحساءُ، لانتشار العلم بها والعلماء، وشيد أهل الخير لهذه المدارس مبان جعلوا لها أوقافاً تدر عليها، يصرف منها للدارسين. وكانت الدراسة بها على فترتين صباحية ومسائية، وركزت تدريسها على التفسير والحديث والفقه، واللغة العربية، وتستمر الدراسة بها طوال الأسبوع ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة، وأضيف يومُ الثلاثاء إلى الجمعة لأن العلماء، وتلاميذهم والوافدين يخرجون للترفيه والنزهة في البساتين والعيون، حيث يتطارحون الأدب والشعر؛ وقد بلغ عدد هذه المدارس في فترة من الفترات ثماني عشرة مدرسة.

وتتميز الأحساء عن سائر مدن نجد بالأربطة

العلمية، وهي مؤسسات توفر للدارسين بها السكن والمأكل، ويعمرها طلاب العلم من الفقراء، والغرباء، وأغلب من يلتحق بها كبارُ السن، والدراسة فيها أقرب إلى النظام الحديث في بعض جوانبه، وكان أهل الخير يوالونها بالصرف والتعهد.

أما في القصيم، فمع الكتاتيب التي كان عددها يختلف من مدينة لأخرى، فقد فُتح في منتصف القرن الرابع عشر، في بعض المدن، مثل عنيزة، مدارس تعلم مع القرآن الكريم بعض نصوص من الأدب والشعر والخط والحساب، وأصحابُها تأثروا بما رأوه في البصرة والكويت، ومن هذه المدارس مدرستي القرزعي وابن صالح، وقد خرجتا مؤهلين أقوياء في هذه العلوم، أفادوا عندما جاءت الحاجة إليهم عند تأسيس الدوائر في بدء توحيد المملكة، وملء المراتب الضرورية.

وأُكتفي بهذه النماذج في بعض المناطق

للكتاتيب والمدارس الأهلية، وبعض المدارس الحكومية السابقة للعهد السعودي، أو في أوائله، قبل أن تبدأ المدارس الحكومية المنظمة وتنتشر.

وسياسة التعليم وأهدافُه انطلقت من الموروث الديني الثابت للتعليم، ومن الحاجة إلى ما يسد متطلبات الوطن في المجالات المختلفة، وإلى ما يمهد السبيل إلى نهضة تتناسب مع التطلع إلى أهداف هي مطمح الدولة والناس، أما الحاجة الملحّة عند توحيد المملكة فسُدّ أغلبها بالمؤهلين من أبناء الوطن ممن درسوا في الحرمين الشريفين، أو في المساجد في غيرهما، أو ممن درسوا في مدارس خاصة، أو حكومية من عهد الأتراك، أو الأشراف، أو من الخريجين النابهين من الكتاتيب؛ وقد وُضع هؤلاء في المراكز التي يمكنهم إجادة الخدمة فيها؛ وأضيف إلى هؤلاء من هم من أبناء الوطن وتغربوا في بلدان عربية أو غير عربية، مثل العراق ومصر وتركيا، وقد عاد هؤلاء على أثر توحيد المملكة،

واستتباب الأمن الشامل، الذي أصبحت تنعم به، وكان من هؤلاء من تسنّم أعلى المناصب، وأخطر المراكز.

وكان لهؤلاء الذين انتظموا في سلك التدريس، أو أصبحوا مسؤولين عن التعليم جهدٌ مشكور في وضع الأسس لتعليم حكومي نظامي، بدأ محدوداً متماشياً مع الفترة، ثم توسع حسب الحاجة، والتجربة، والإمكانات المالية والبشرية. وبدأت الخطوة الأولى في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، لما لهما من سبق في التعليم الديني الموسّع، وفي تجربة التعليم النظامي الحديث، ولتوفر المدرسين، نوعاً ما، وللاستعداد الاجتماعي لقبول المدارس الحديثة للبنين، فأنشئ، بجانب المدارس الأهلية القائمة، مدارسُ حكومية في مكة المكرمة، بنظام ثابت، يحدد الدروس والأوقات والمدرسين، وطاقة الفصول، وعدَدَها، وعدد السنوات، والمناهج، وتنفيذَها، والاختبارات،

والصرفَ على هذه المدارس، وطريقة ذلك. وكانت هذه المدارس عند إنشائها من مرحلتين: الأولى تحضيرية، ومدتها ثلاث سنوات، يبدأ الطفل فيها بحروف الهجاء، ثم تتلوها أربع سنوات ابتدائية.

وكانت هذه الخطوة تستجيب لما في ذهن المسؤولين عن سياسة التعليم، وقد رأوا هذا البدء المحدود، لأنه يستجيب للمقدرة على النشر والتعميم على باقي المدن، وفيه مجال للزيادة والتطوير مع مرور الوقت، حسب حاجة البلاد لمتعلمين، يخدمون في المجالات المختلفة، بفهم وإدراك، يختلف عما كان عليه الأمر، قبل ذلك، من كثرة غير المتعلمين، وقلة المتعلمين، وينهضون بالخدمة في الحكومة وفي القطاع الأهلي بمجالاته المختلفة.

وعلى هذا أمكن فتح بعض المدارس الحكومية التي كان نواة بعضِها المدارس الأهلية القائمة، ومن أوائل المدارس الحكومية السعودية المدرسة الرحمانية في المسعى، والمدرسة العزيزية في

الشامية، والمدرسة السعودية في المعلاة، والمدرسة الفيصلية في الشبيكة، والمدرسة المحمدية بالمعابدة، والمدرسة الخالدية بجرول.

وكان هناك طموح لمراحل أعلى، ولكن الإمكانات البشرية والمالية لم تكن تسمح إلا بالقليل من ذلك في أضيق الحدود، وقد دعا إلى هذا التطلع الرغبةُ في إيجاد مدرسين ليسدوا الفراغ في المدارس، التي تنوي إدارة المعارف إنشاءها توسعاً، أو تطويراً لما هو قائم منها.

وأول مؤسسة علمية أسست فوق المرحلة الابتدائية هي المعهد العلمي السعودي لإعداد المعلمين؛ وقد أنشئ هذا المعهد في عام ١٣٤٥هـ، ومدة الدراسة به ثلاث سنوات، ويقال إنه أغلق بعد سنة من فتحه، لقلة الإقبال عليه، ولكن أعيد فتحه مرة أخرى في عام ١٣٤٧هـ.

ولم يكتف المسؤولون، لبلوغ الهدف في تهيئة المتعلمين تعليماً عالياً بهذا، بل فكروا بما يسند

هذا الجهد، ويكون رافداً له ومعضداً، ففتحوا باب الابتعاث في عام ١٣٤٦هـ بإرسال أعداد محدودة إلى مصر، وقد يكون ما أوحى بهذا قلة الإقبال على المعهد العلمي السعودي، في أول الأمر، لعدم إدراك فائدته، ولكن بدء إرسال البعثات شجع الطلاب على الالتحاق بالمعهد، لأنه المرحلة الوحيدة الأعلى، وهو المؤهل للابتعاث، والبعثات الأولى تركزت في بعض التخصصات التي تحتاج البلاد إلى خريجيها مثل كلية دار العلوم، وتخصيص القضاء الشرعي، وكليةِ اللغة العربية، ومدرسة المعلمين الأولية، ومدرسة تحسين الخطوط، وكلية الحقوق، وكلية الطب، ومدرسة التجارة المتوسطة.

ووجد الطلاب صعوبة في دخول بعض هذه الكليات، لأنهم لم يدرسوا اللغة الإنجليزية، وهي مهمة، فاضطروا إلى دراستها تكملةً بصفة خاصة، وبهذا أكملوا النقص، وقُبلوا في الكليات التي تشترطها. وهذا حدا بالحكومة السعودية أن تفكر

في إنشاء مدرسة ثانوية تتوافر فيها شروط الدراسة في مصر، فأنشأت في عام ١٣٥٤هـ مدرسة تحضير البعثات وهذه الخطة سهلت على خريجيها الالتحاق، عند الابتعاث بالجامعات المصرية.

وكان المقرر أن تبدأ البعثات وتستمر سنوياً إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية تسبب في إيقاف البعثات، ولم تُستأنف إلا في عام ١٣٦٤هـ، مما أخّر برنامج الدولة في تهيئة المؤهلين للأهداف المرسومة.

ومع بث المدارس التحضيرية والابتدائية في المدن الرئيسة في الحجاز، والدخول في المرحلة الثانوية، جاء دَوْر نشر المدارس التحضيرية في المناطق الأخرى من المملكة، فاختار المسؤولون بعض المدن الكبرى مثل الأحساء، وشقراء، وعنيزة، والمجمعة، ففتحوا في بعضها مثل عنيزة والأحساء في عام ١٣٥٦هـ مدارس تحضيرية، سرعان ما تلتها مراحل الابتدائية، ثم فتحت مدارس أخرى وأخرى، فانفتح، بهذا، البابُ على مصراعيه؛ وصار خريجو

هذه المدارس، لفترة محدودة، عندما يكمل بعضهم السنوات الابتدائية، يأتي إلى مكة المكرمة للالتحاق إما بمدرسة تحضير البعثات، أو بالمعهد العلمي السعودي، وهما البابان المؤديان إلى الابتعاث إلى الخارج في الاعتبار الأول، وإلا فهناك طلاب ابتعثوا، في تلك الفترة، من مدارس أخرى مثل مدرسة الفلاح.

وتخلل ما تلا هذه الفترة تغيير في بعض المراحل الدراسية، والمناهج، وعددِ السنوات، لتتلاءم مع السّير إلى الأمام في ضوء التجربة والحاجة، فتحضير البعثات صارت خمس سنوات بدلاً من أربع، والمعهد العلمي السعودي صار خمساً بدلاً من ثلاث، وأدمجت المرحلة التحضيرية في الابتدائية، فأصبحت المرحلة الابتدائية ستَّ سنوات.

وجاءت القفزة الكبرى عندما أنشئت وزارة المعارف في عام ١٣٧٣هـ، وصار على رأسها صاحبُ السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز، أول وزير

للمعارف، فاستمر التوسع والارتقاء بالتعليم، وبوسائله المختلفة، وبدأت سياسة التعليم، مع تطور المجتمع، تتبلور، وتتبين معالمها، وتتحدد حدودها، وتستبين أهدافها في خدمة هذا المجتمع، والاستجابة لمتطلبات العمل في ضوء التجربة، وطموح الأهداف، فجاءت وثيقةُ سياسة التعليم الصادرة في عام ١٣٨٩هـ، وافيةً بالغرض، محدِّدة للمعالم، والنهج والأهداف، وأصبحت نبراساً يسير عليه رجال التعليم، واستُهلت وثيقة هذه السياسة بالمدخل الآتي:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين».

وكان أول بند فيها إطاراً واضحاً لما ستكون عليه المواد اللاحقة، ونصه:

«السياسة التعليمية هي الخطوة العامة التي تقوم عليها عمليةُ التربية والتعليم، أداءً لواجب في تعريف

الفرد بربه، ودينه، وإقامة سلوكه على شرعه، وتلبية لحاجات المجتمع، وتحقيقاً لأهداف الأمة، وهي تشمل حقوق التعليم، ومراحله المختلفة، والخطط، والمناهج، والوسائل التربوية، والنظم الإدارية، والأجهزة القائمة على التعليم، وسائر ما يتصل به.

والسياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام، الذي تدين به الأمة عقيدةً وعبادة، وخلقا، وشريعة، وحكماً، ونظاماً متكاملاً للحياة، وهي جزء أساس من السياسة العامة للدولة».

وهذا يوضح أن التعليم إطاره الإسلام، وكل جزء منه محكوم به، فبه الاهتداء، وبه الاقتداء. ثم تبدأ الوثيقة، فتسرد في مئتين وست وثلاثين مادة معالم هذه السياسة، فتبين خطوات العمل في التعليم، وأهدافه، في جوانبه المختلفة، محددة موقعها من هذا الإطار، فالحيز الأكبر منه سوف

يخصص للإيمان بالله، وبرسوله ﷺ وبالتصور الكامل للكون، في ضوء تعاليم الدين مع الأخذ في الاعتبار الحياة الدنيا، وأنها مرحلة إنتاج وعمل، وأن الحياة الفضلى هي التي تتم في ضوء الرسالة المحمدية، لأن فيها العزة في الدنيا، والسعادة في الآخرة، وتؤكد أن الله – سبحانه وتعالى – كرم ابن آدم، فعليه المحافظة على هذه الكرامة بالوسائل المحصِّنة.

ونجد في موقع آخر من الإطار تهيئة فرص النمو أمام الطالب لخدمة مجتمعه، والمساهمةَ في بنائه، وفتحَ المجال لتسليح الطالبة بالعلم، لتؤديَ دورها في مجتمعها بما يلائم طبيعتها، ويناسب مقدرتها على الجهد؛ فالعلم للجميع، لا لفئة دون أخرى.

ثم ننتقل مع سياسة التعليم إلى موقع آخر من الإطار، هو أقرب إلى التفصيل، فنجد أنها حددت أن علوم الدين أساس في كل مراحل التعليم الثلاث، وتؤكد أن تكون بقية العلوم تسير كذلك

في ظل دوحة الإسلام، وأن يستفاد، على هذا، من جميع أنواع المعارف الإنسانية، وأن يكون هناك تناسق وانسجام بين العلم ومنهج الطبيعة، إذ إن التقنية من أهم وسائل التنمية بجميع فروعها.

وتؤكد سياسة التعليم على ربط التربية والتعليم، في جميع المراحل، بالتنمية العامة للوطن، وأن يكون هناك تفاعل واعٍ مع التطورات الحضارية في ميادين العلوم والثقافة والآداب، مع ثقة كاملة بمقومات الأمة، والحرص على الارتباط الوثيق بتاريخها وحضارتها، وتقوية التضامن الإسلامي.

ثم تلتفت سياسة التعليم لجانب مهم، وهو احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام، والتكافل الاجتماعي الذي حث عليه، والنصحُ المتبادل، وحمايةُ العقيدة، والجهادُ في سبيل تحصينها، والغيرةُ على اللغة العربية، ونشرُ دعوة الإسلام الخيّرة، وعدمُ نسيان نعمة الله على بلادنا، أَنْ جعلها متميزة برعاية مقدسات الإسلام، مما يُلقي

على عاتقها مسؤوليةً إسلامية، شريفة، نبيلة.

هذا هو الإطار العام كما جاء في وثيقة سياسة التعليم، وقد احتوت الوثيقة على غايات للتعليم وأهداف يمكن تلخيصها في الآتي:

تنمية روح الالتحام بالشريعة الإسلامية، بالنصيحة لكتاب الله، وسنة رسوله، وتحقيق الخُلُق القرآني في تصرف المسلم، وتزويدُ الفرد بالأفكار السليمة، والمشاعر اللازمة لحمل الرسالة، وتربيته ليكون صالحاً، وتزويدُه بالقدر المناسب من المعلومات والخبرات، وتنميةُ إحساسه بمشكلات وطنه، وتأكيدُ الإحساس بالعزة والإباء، وتنميةُ تبصره بالكون، ليكشفَ قدرة الله – سبحانه وتعالى – ويعرف جيداً الانسجام بين الدين والعلم؛ والحرصُ على زرع الملكة فيه لحب البحث، والتفكير السليم في كل أمر؛ وتهذيبُ روحه، لتساعد قوة ذهنه وبدنه؛ وتنميةُ ملكة القراءة عنده، والقدرةِ على التعبير، والتملي من

أمجاد آبائه الإسلامية.

ولئلا ينقطع المواطن عن العالم الخارجي، وليزداد طموحه إلى احتلال مكان رحب في مجالاته، نبهت سياسة التعليم، بأهدافها، إلى تزويد الطلاب بلغةٍ أجنبية تكون كذلك نافذةً لهم للاطلاع على المنجزات العلمية والعملية، ولهذا حثت على أن يتدرج الطالب في سيره تجاه هذا، فيبدأ بفهم البيئة المحيطة به، ثم يتوسع في دائرة المعرفة بالتعرِف على مختلف أقطار العالم، بما فيها من تماثل أو تباين، في سكانها، وطبيعة بلادها، وصادراتها وارداتها، واتجاهاتها، وما يمكن أن يستفاد منها، وإيجاد صلات معها، أو نفرةٍ منها.

وبالعلم يستطيع الطالب أن يعرف ثرواتِ بلاده، ويقدرَها، لتسهّل عليه المساهمةَ السليمة في استغلالها، وإفادةِ التنمية منها. وليكون مسلماً قوياً نافعاً التفتت سياسة التعليم في أهدافها إلى تعويد الطلاب العادات الصحية السليمة، وإكسابهم

مهارات الحركة التي تسند ذلك، لبناء العقل والجسم، وأوجبت أن يكون الخطو في كل ذلك حسب نمو الطالب، وتقدمه جسماً ونفساً؛ وهذا يأتي من منطلق التعرف على الفروق الفردية بين الطلاب، واكتشاف الموهوبين من بينهم، لرعايتهم، وتلمس وسائل تنمية مواهبهم؛ ونبهت إلى وجوب الالتفات إلى فئات أخرى تستحق العناية الفائقة، والمعاملة الخاصة، وهي فئات المتخلفين دراسياً، لأسباب طارئة أو لإعاقة جسمية أو عقلية.

وفي خطوة أخرى، في اتجاه مهم، تؤكد سياسة التعليم على هدفٍ واضحِ الفائدة، وهو غرس حب العمل في نفوس الطلاب عن طريق تكوين مهارات عملٍ وتطبيقٍ في المدرسة، سواء كان ذلك عن طريقٍ فني، أو عملٍ في المختبرات، ويسير ذلك في ظل العلم اللازم لذلك.

ثم تنتقل سياسة التعليم إلى تفصيل الأهداف لمراحل التعليم المختلفة، بدءاً برياض الأطفال،

وانتهاءً بالتعليم العالي، وتوضيح توزيع الأهداف برسم الخطوط التي يمكن أن يتبعها التعليم، بمناهجه، وبسير المربين، ليُضمن الإتقان في التنفيذ، والوصولُ إلى الهدف.

وحتى تكون هذه الوثيقة متكاملة جاء فيها باب خاص بالتخطيط للمراحل المختلفة، بتفصيل أكثر، وتحديد لخطوات السير في كل مرحلة؛ وهي إن كانت تركت مرحلتي الحضانة ورياضِ الأطفال لاجتهاد المربين، في حدودٍ أجملتها، فإنها حددت مدة الدراسة في المرحلة الابتدائية، والمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية، وأكدت أن التعليم متاح للجميع في المرحلة الابتدائية، وفي المرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية، وأكدت أن التعليم متاح للجميع في المرحلة الابتدائية، وفي المرحلة المتوسطة لحاملي الشهادة الابتدائية، وفي المرحلة الثانوية لحاملي الشهادة المتوسطة، وهكذا كل مرحلة تعتمد على ما قبلها في التتابع والتكامل؛

وجاء وصفٌ لطريقة فتح المدارس من حيث العدد والمكان، وبعض جوانب التنظيم التي لابد منها.

أما التعليم العالي الذي يبدأ بعد المرحلة الثانوية، فخضع لأنظمة خاصة به، ولمجالس الكليات والجامعات، حسب طبيعة العلم، وما يتطلبه. ووضعت سياسة التعليم بعض المعالم على الطريق، ليُهتَدى بها في توحيد الاتجاه، والتنفيذ.

وجاء في ختام وثيقة سياسة التعليم أحكام خاصة، ركزت على بعض الأمور المهمة فيما له طبيعة خاصة به مثل المعاهد العلمية، وتعليم البنات، والتعليم الفني، وإعداد المعلمين، ومدارس القرآن الكريم ومعاهده، والتعليم الأهلي، ومدارس مكافحة الأمية وتعليم الكبار، والتعليم الخاص بالمعوقين، ورعاية النابغين.

ويلي هذا الباب باب خاص بالقائمين على التعليم، والوسائل المدرسية، والمناهج، والامتحانات، ورعاية الشباب، والوسائلِ العامة،

والكتب والصحف والنشرات، ومناهج التثقيف العام، ووسائل الإعلام.

ثم باب آخر عن نشر العلم في البلدان الإسلامية، وإيجاد منح في مؤسسات التعليم في المملكة، وتزويد بعض الدول بالمدرسين.

ثم باب آخر كذلك عن تمويل التعليم، يتلوه باب في أحكام عامة عن تشكيل مجلس أعلى للتعليم، مع التأكيد على أن التعليم بالمجّان، وعلى صرف مكافآت وقتية لفئات من الطلاب، في أنواع معينة من التعليم والتدريب، مع إشارة إلى قيام الدولة بتوفير فروع للتعليم العالي في أنحاء المملكة، وفقاً لاحتياج البلاد والسياسة التي يضعها المجلس الأعلى للتعليم.

ويلاحظ أن سياسة التعليم في وثيقتها، التي استعرضنا أهمَّ ملامحها، اكتفت بالقول بأن التعليم الابتدائي متاح للجميع، ولم تقل، مثل ما قالته بعض الدول، إنه إلزامي، ولعل السبب أن

الإقبال كان يسبق الإمكاناتِ، والمطالباتِ من الأهالي لفتح مدارس، في مواقع وتجمعات؛ كانت تضغط بإلحاح على مسؤولي التعليم، ولهذا لم يكن هناك داعٍ لأن يلزم الناس بأمر قد ألزموا أنفسهم به.

هذه ملامح عجلى عن سياسة التعليم الحالية وأهدافه، تبلورت فكرتها مع الوقت، وتشذبت مع التجربة، ووفت بالغرض، والعمل الآن جار عليها، وفيها من الإتقان ما يجعلها تستوعِب المستجدات في الساحة التعليمية، بما في ذلك جوانب التقنية الحديثة، بسرعة تطورها، وسهولة انتقالها والرغبة في التعامل معها.

وهذه الخطة سهلت على خريجيها الالتحاق عند الابتعاث، بالجامعات المصرية.

وكان المقرر أن تبدأ البعثات وتستثمر سنوياً إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية تسببت في إيقاف البعثات، ولم تستأنف إلا في عام ١٣٦١هـ، مما أخر برنامج الدولة في تهيئة المؤهلين للأهداف المرسومة.

ومع بث المدارس التحضيرية والابتدائية في المدن الرئيسة في الحجاز، والدخول في المرحلة الثانوية، جاء دور نشر المدارس التحضيرية في المناطق الأخرى من المملكة، فاختار المسؤولون بعض المدن الكبرى مثل الأحساء، وشقراء، وعنيزة، والمجمعة، ففتحوا في بعضها، مثل عنيزة، في عام ١٣٥٦هـ مدارس تحضيرية، سرعان ما تلتها مراحل ابتدائية، ثم فتح مدارس أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز..

صاحب المعالي وزير المعارف الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد..

أصحاب الفضيلة والسعادة ..

أيها الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صاحب السمو: أتشرف، وأنا التلميذ الذي ترك السنين خلفه، بالوقوف أمامكم، في هذه الدقائق المباركة، أستعذب خطو الزمن، وأتمتع بصدى وقع أقدامه، وبما تركته هذه الخطوات من ذكريات؛

---

(١) ألقيت في حفل إدارة التعليم بعنيزة مساء يوم الثلاثاء: ١٤١٩/١١/٢٨هـ / ١٦/ ١٩٩٩/٣م بمناسبة مرور ثلاثة وستين عاماً على إنشاء المدرسة السعودية.

ذكريات ملأى بعبقٍ فوّاح، يجترّ الذهن بمتعةٍ مرورَها اليوم به، وما لم أصطده من صدى وقع أقدام بعضها أغبط عليه جنبات عنيزة، يلثم هذا الوقع يميناً الجال، ويقبّله يساراً الضاحي، يشهد على ذلك الصنقر عند شروق الشمس، والغضا عند غروبها، وتبتسم له نخلاتٌ طلعها هضيم، وأثل متعانق كثيف حفيفه هزيج الأصالة، وأنشودة الوطن.

صاحب السمو، أيها الإخوة:

أيام الصغر مضيئة، ولها بهجة، وبهجتها غامرة، النهار فيها نشاط بريء، والليل هدوء وسكينة، يتخلل النوم فيه أحلام هي أماني النهار، بطموح محدود، لا يعدو النصر على القرناء، والربح منهم، وإتقان الأذى، والنجاة من العقاب.

لهذا، ولغيره، صور، اللعب في الأسواق صورة، والعراك صورة، والتحزّب صورة، وفي كل شبر في المدرسة صورة، وفي غير المنهج الثابت صور، جَمَل

يركل طفلاً صورة، جمل يعترض طريق الصغار صورة، مناسبة عرس صورة، مناسبة ختان صورة، وليمة لمسافر عاد صورة، وليمة لحافظ للقرآن صورة، حرب بين حيين صورة يدخل تحتها صور، من بينها شروط الحرب، ونتائجُه من شجاج، ودماء، وفقد عين، أو إحداث عاهة أخرى؛ وفي مواسم العجاوي، والكعابة، والملعبة، والبعّة، والصقلة، والسبت سبوت، صور تتكرر.

أجل ذكريات، ذكريات تخص الأماكن، ومن فيها، وما فيها: ذكرى المداق، أو المغرنة، أو باب الخلا، وما فيها من ثروات لبعض الصغار، منها طوقان، وأم أربع عيون، ومنذا، جراء يختش لها الصغير كريات من الحنيني، ينجح في إخفائها، ولكن جيبه بعد يومين أو ثلاثة يفضحه، إذ يبرز منه الدسم وقد اختلط بالغبار، فيتبين المُخفَى، ويفتضح الجرم، ويأتي العقاب مصعة أذن من الوالدة، أو صفعة على الخد من الوالد، أو مطرقين

من الأستاذ صالح أمام أعين الطلاب، وهم بين غابط على حيازة الجرو، ومتشف لسوء علاقة بسببه، أو مشفق لصداقة أو خوف من اكتشاف جرم لم يكتشف بعد.

أجل ذكريات تتزاحم عند الالتفات إليها، ذكرى الطلاب، وقد فُتح لهم باب المدرسة، ليخرجوا، قبل صلاة الظهر، فيندفعوا كقطيع، يركضون عبر الشوارع الضيقة، التي تردد جنباتها أغانيهم، المعبرة عن حالتهم في هذه اللحظات، وهم يرددون:

«وا ويل الجصة وان جيته وآكل عشر قبل اسمي».

نعم ذكرى بارزة، تلك هي تشجيع الملك عبدالعزيز -رحمه الله- لمدرسة الأستاذ صالح الخاصة في الأعوام التي سبقت إنشاء المدرسة السعودية، إذ كان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- يصرّ أن يكون من ضمن برنامج زيارته لعنيزة حفلٌ

في هذه المدرسة، وهو حفل مشهود، برنامجه مملوء بالترحيب، والأناشيد والتمثيليات، وقد شدته -رحمه الله- تمثيلية هارون الرشيد، أجل شدته، وبحق، فقد كانت متقنة نصاً، وإخراجاً، وتمثيلاً، وكأني أرى المشتركين فيها، أمامي الآن، يمرون بسوق الهفوف، بملابس العصر العباسي المتخيلة، أثناء حكم هارون الرشيد. وأحدنا لا يسعه اليوم إلا أن يقدر بإكبار الأستاذ صالح -رحمه الله- وإتقانه إخراج الزي، وإقناعه أهل الطلاب بتفصيله، والصرف عليه، في وقت لم يكن يُلتفت إلا إلى ضرورات العيش.

والمداد له ذكرى، والتلاميذ يتعمدون أن تملأ بقع المداد ثيابهم، يمسحون القلم بالثوب مرات ومرات، حتى لا يكاد يُرى بياض الثوب في بعض أجزائه، وبهذا اتخذ الثوب إعلاناً ناطقاً صامتاً بأن هؤلاء الصغار تلاميذٌ في مدرسة ابن صالح، بؤرة الشرف، ومحط الفخر، وهم يأخذون من هذا

بنصيب واف.

وهناك ذكرى فتح المدرسة السعودية الرسمية أبوابها في عام ١٣٥٦هـ، مبتدئة بثلاثة فصول تحضيرية، استقبل الفصلان الأولان من سبق أن درسوا القرآن في الكتاتيب عند المطاوعة؛ والفصل الثالث، وهو أعلى فصل في المدرسة، حَظِي به من سبق أن درسوا عند الأستاذ صالح في مدرسته المتميزة، وكانوا قد قطعوا فيها شوطاً.

ذكرى هذه المدرسة: حوش صالح العلي -رحمه الله- وعلى جوانبه غرف العلف، والأشدة، والخروج، والمزاود، والسياح، والأرسنة، والميسم، والقيود؛ غرف بلا أبواب، ولا نوافذ، أكرمها الله، ورفع قدرها، فأضحت فصولاً للدراسة، وطلب العلم، يتزاحم فيها التلاميذ جلوساً على الأرض، على الرمل، يزاحمهم في هذا البرد في الشتاء، والحر في الصيف، يغلبون صفير الريح بصوت اصطكاك أسنانهم، وركبهم،

وارتعاش أجسامهم الهزيلة.

ذكرى تنافس التلاميذ على الأولوية سليمان الزامل -رحمه الله- وعبدالعزيز الخويطر، وعبدالله الفالح، وعلي السيوفي -رحمه الله- وتتساوى درجاتهم في كل اختبار، وكل واحد منهم ينال الدرجة القصوى وهي تسعون من تسعين، ويتقرر أن يكون جلوسهم حسب حروف الهجاء، فيتقدمهم -على هذا- سليمان العبدالعزيز الزامل -رحمه الله- ويصبح رئيس الفصل.

ذكرى هيئة التدريس بهذه المدرسة عند إنشائها، وعددهم ثلاثة، على رأسهم الأستاذ صالح الناصر الصالح ومعه أخوه عبدالمحسن، والشيخ سليمان المحمد الشبل، أسكنهم الله فسيح جناته. ووقع عليهم عبء الإنشاء، من تقسيم الفصول، وفرز التلاميذ، وتحديد الأوقات، حلٌّ معضلة برزت في الوسيلة التي يُدخل بها التلاميذ الفصول عند بدء الدروس، والتي يُخرجون بها، وفي الحجاز لم يكن

لهذه المعضلة الكبرى وجود، فقد كان الطلاب يدخلون على صوت الصفارة، ويخرجون عليه، ولكنّ هذا غيرُ مقبول في نجد، لأنه يدخل حيز المكاء والتصدية، ووقع الشيخ سليمان -تغمده الله برحمته- على الحل، وجاء بصيغة مبتكرة، يملأ ساعة المنبه (الخراشة) ثم ترن، فيحدّرها من نافذة غرفة المدرسين، فيسمعها القاصي والداني، في حالة الدخول والخروج، وبهذا زالت الحيرة، وارتفع العجز.

هذه المدرسة هي النواة الأولى للدراسة الحديثة المنتظمة، في هذه المنطقة، ومعها بدأ غرس الثقة في هذا التعليم، وتوالى ازدياد عدد التلاميذ سنوياً، وبانتظام، مما أكد أن النفوس كانت عطشى إلى مثل هذا، وكان بعض التلاميذ قد ذاقوا طعم العلم على الطريقة الحديثة في مدرستي القرزعي، وابن صالح -رحمهما الله تعالى- وأرى أهلهم استفادةَ الملك عبدالعزيز من خريجيهما عندما التفت يبحث

عن موظفين مؤهلين لحمل العبء معه في مقابلة متطلبات التنمية في المجالات المختلفة، فكانوا من أول من استفيد منه.

إحساس الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بأهمية التعليم كان قوياً، وكان هذا واضحاً في أقواله وأفعاله، فإذا اهتم بمدرسة ابن صالح الصغيرة -كما رأينا- فإنما ينطلق من مبدأ آمن به، وأدرك فوائده، حاضراً ومستقبلاً؛ ومن يعرف فقد يكون في تلك اللحظات يتصور، وهو العبقري، ما سوف يصل إليه التعليم في بلاده مع الزمن.

وقد رأى -رحمه الله- عن كثب، فائدة التعليم في المدارس النظامية في مكة المكرمة، على تشعب هذا التعليم واختلافه، وقرر أن يُوحِّد اتجاهه، وأن يدفع سيره، وأن يزيد انتشاره، وقد قال، وفعل، ونجح. وما رآه في الحجاز أراده لبقية مناطق المملكة، فأصدر أمره بالبدء في إنشاء عدد من هذه المدارس في بعض المدن الكبرى، ومن أولها عنيزة،

والمجمعة والأحساء، ثم تلتها مدارس أخرى في مدن أخرى، وسرعان ما بسقت دوحة التعليم، وازدهت أغصانها، وأينع ثمرها، لأنها بذرة طيبة، في أرض خصبة، سقيت بنية حسنة، وتُعهدت بيد حانية، وجهد مخلص.

وذاق التلاميذ طعم العلم، فأقبلوا عليه، ولهثت الإمكانات الرسمية، مالية وبشرية، لتقابل هذا الطموح، وتتجاوب مع هذه الرغبة؛ وكان جهد، وكان إنجاز فغطيت المدن، والقرى والهجر برداء المدارس الضافي، وراحت المدارس تتبع أصغر التجمعات، حتى أماكن الرعي في بعض الأحيان، ولم يقف الأمر عند مجانية التعليم، بل تعداها إلى الإعانات.

وكان لابد لهذا الصرح من قمة، ولابد لهذا الرأس من تاج، وتاج المدارس الجامعات، فأنشئت الجامعات، في أول الأمر على استحياء وحذر، ثم انفتح الباب، وزادت الثقة، وتعددت الجامعات،

حتى وصلت إلى ثمان جامعات، مع كليات إضافية تزين أديم المناطق هنا وهناك، وتستعد لتكون جامعات في المستقبل.

والعمل للطلاب يواكبه العمل للطالبات، والعمل للمدرسين يسايره العمل للمدرسات، ولم يعد الحديث عن عدد الطلاب والطالبات بالمئات، أو بالآلاف، بل أصبح بالملايين، مما يُري مدى القفزة، يتبع هذا نمو المدارس والمكتبات، والوحدات الصحية، والملاعب.

رحم الله الملك عبدالعزيز على الغرس الذي غرس، ورحم أبناءه سعوداً وفيصلاً، وخالداً، الذين رعوا هذه الغرسة بصدق وأمانة، وأبقى الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وولِّي عهده الأمين الأميرَ عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذين يسعد التعليم اليوم بتشجيعهم له، والتفاتهم إليه، ودفع عجلته إلى الأمام، وتوجيهه في الطريق السليم.

وتعضيدهم الذي لا يحد لا نملك إزاءه إلا أن ندعو الله العلي القدير أن يجزيهم خيراً، وأن يأخذ بيدهم، في مجال التعليم وغيره، إلى ما ينفع ويرفع، إنه جواد كريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سؤال وجواب

الأسئلة التي أجبت عنها في الصفحات التالية قدمت لي من صحيفة "المدينة"، وأجبت عنها كما وردت، وقد لاحظت تداخل بعضها مع بعض، وهي أسئلة ضافية، وصلت إلى ثمانية عشر سؤالاً.

أرجو أن يكون فيها ما يفي بالغرض الذي قصده السائل، وهي في وقتها في نظري تمثل الإجابة الصادقة لما أشعر به، وقد يكون مرور الزمن قد بين ما هو صواب منها، وما هو غير ذلك. وما جاء فيها اجتهاد أرجو أن يكون فيه الأجر الموعود به المجتهد أو أجران لمن اجتهد وأصاب، والله المستعان.

هذه الأسئلة متداخلة، وستكون أجوبتها تبعاً لذلك، متداخلة أيضاً.

١- كانت الفترة الزمنية التي عشناها في أول حياتنا فيها شظف كبير من العيش، خاصة وأن جزءاً منها جاء مع الحرب العالمية الثانية، وهذا يعني انقطاع السابلة البحرية، والمملكة العربية السعودية

تقع بين بحرين، كان لموانئها أثر على الحركة التجارية، ونشاط الاقتصاد أو معاناته. والتعليم، بجانب الغذاء والكساء لمسه هذا الشظف، فوسائل التعليم اقتصرت على ما تستطيع توفيره البلاد من إمكاناتها الداخلية، إلا القليل الذي يأتيها من البلدان المجاورة، التي ليس بينها وبينها بحار، أو مع الحجاج، وهم قليل، أو مع السفن المخاطرة، وهي نادرة.

وقد عانت بلدان نجد، ومن بينها عنيزة، التي ولدتُ فيها، أكثر مما عانى الحجاز، وهو يستفيد من ميناء جدة بالذات، وما يأتي به الحجاج، وفائدته واضحة، لأنه ينعش المنطقة، وقد اضطر الملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى وضع مراكز عند مداخل المدن الكبرى، ومخارجها، ليراقب توزيع المؤن بين البلدان، حتى لا يستغل التجار الوفرة في الأغذية في منطقة وندرتها في أخرى، وهذا ساعد على عدم الفزع بين الناس عندما

قامت الحرب العالمية الثانية.

٢- التعليم عندما تم توحيد أجزاء المملكة على يد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- كان مقتصراً على الكتاتيب، وكان هناك في المساجد الجامعة حلقات علم، أما في مكة المكرمة فهناك حلقات التدريس في الحرمين، وهناك، وبالذات، في مكة مدارس ابتدائية على النظام الحديث، وتعد على الأصابع، ثم تلا ذلك إنشاء مدارس ابتدائية في المدينة المنورة وجدة، وبعدما يقرب من عشر سنين من ذلك بدأ إنشاء المدارس الابتدائية، وقد عاق نشر المدارس قيامُ الحرب العالمية الثانية، ولم يُتغلب على ذلك إلا بعد أن انتهت، وكان قد تهيأ بعض المدرسين السعوديين من الحرمين، ومن حلقات العلماء، ومن المدارس النظامية، وقد استفيد من هؤلاء في إنشاء المدارس في كبريات المدن.

ثم سرعان ما أصبح هناك حاجة للتعليم الثانوي، فبُدئ بالمعهد العلمي السعودي، وكان من أوسع

الأبواب التي هيأت لتوفر عدد المدرسين، وكانت القفزة إنشاء مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة حيث كان المعهد. وكان خريجو المدارس الابتدائية في البلدان الأخرى يلتحقون بها في أقسام داخلية. وبعد سنوات تعددت المدارس الثانوية -على نمط مدرسة تحضير البعثات- في كل بلد كبرى في المملكة. واسم تحضير البعثات يدل عليها، فهي تحضر للالتحاق بالمرحلة الجامعية، وبالذات في مصر، وقد بدأ هذا، فكان يستفاد من ذلك حتى أنشئت أول جامعة في المملكة في عام ١٣٧٧هـ.

٣- عندما بدأنا التعليم لم نكن نعرف إلا المرحلة التي نحن فيها، والسنوات التي نتطلع إلى الانتقال إليها، وكل مرحلة تنتهي نتطلع إلى ما بعدها، حتى وصلنا المرحلة الثانوية، فعرفنا أن وراءها الجامعة، وأن بعض من سبقونا، في التخرج من المعهد أو البعثات، منتظرون الابتعاث، بعد أن يكون هناك فرصة عندما تخف حدة الحرب. وفعلاً

تم ذلك، وسافروا، وعادوا في صيف ذلك العام، بعد أن درسوا سنة، فسمعنا عن كلية الطب والعلوم والآداب والتجارة، والحقوق، والزراعة، وبعد أن انتهت الحرب بدأت الصحف والمجلات تأتي تباعاً، وبأعداد كثيرة، وتأتي سريعاً. فأصبحت نظرتنا للتعليم أكثر نضجاً، وانفتح الباب، لنظرتنا، بعد أن ابتعثنا، على الماجستير والدكتوراه، وهي الشهادات التي كان يحملها أساتذتنا في الكليات من إنجلترا وفرنسا على الأغلب.

٤- كانت المرحلة تسلمنا للمرحلة التي بعدها كما قلت، وكان بعض الطلاب يعرف أن مستواه العالي في الدراسة سوف يشفع له بالاستمرار حتى الابتعاث. وكنت مع بعض زملائي نتطلع إلى ذلك، وكان وراء اجتهادي، وحرصي على التعلم إلى آخر ما في السلم من الدرجات، والدي -رحمه الله- فقد عرف العالم الخارجي، لأنه في شبابه ذهب تاجراً إلى الهند، ومكث ما يقرب من اثنتي عشرة سنة

هناك، واطلع على التقدم الذي كانت تنعم به الهند نتيجة التعليم، لذلك كان لا يترك فرصة دون أن يشبّعني بروح الاستمرار، وكنت هائباً من السفر إلى إنجلترا بعد تخرجي من الجامعة في مصر، وكل ما جئت بحجة تقنع بفائدة العودة إلى المملكة والعمل، سد عليّ هذه الحجة، وجاء بحجة أقوى، حتى خجلت من نفسي، واستسلمت، وسافرت، وكان معي بخطاباته ونصائحه، وتصغير المشاكل أمامي -رحمه الله- رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، فقد كان بعيد النظر، وكان حريصاً، وأنا أكبر أبنائه، أن أكون قدوة لهم.

٥- بعض ما هو مطلوب هنا جاء جوابه في السؤال السابق، ومع هذا يمكن أن ألخص سيري في الدراسة. لقد بدأت مثل غيري في عنيزة، في كتّاب من الكتاتيب، حتى أنهيت قراءة القرآن، وصادف أن افتتحت المدرسة السعودية الأولى في عنيزة في عام ١٣٥٦هـ، فالتحقت بها لمدة سنة

واحدة، أنا وأخي معالي الدكتور حمد، ثم انتقلنا في نهاية السنة إلى مكة، فالتحقت بالسنة الثالثة التحضيرية في المدرسة السعودية، في المعلاة، وبعد أن انتقلت إلى السنة الأولى الابتدائية، ثم الثانية الابتدائية، ثم الثالثة الابتدائية، نُقِلت جميع المدارس الابتدائية في مكة والمدينة وجدة إلى قلعة جبل هندي في الشامية في مكة المكرمة، وكانت القلعة تضم المعهد وتحضير البعثات، وفيها قسم داخلي لمن جاءوا من جدة والمدينة والأحساء، وبعد الابتدائي دخلت المعهد، وبعد المعهد ابتعثت إلى القاهرة، والتحقت بدار العلوم في جامعة الملك فؤاد في القاهرة. ولما تخرجت سافرت لإنجلترا على نفقة الوالد -رحمه الله- ثم ألحقت بالبعثة، وكنت الوحيد في جامعات إنجلترا.

٦- والدي كان له الدور الأول -رحمه الله- في حياتي العلمية، ووالدتي -رحمها الله- رغم أنها لم تتعلم إلا أنها بالفطرة كانت دائماً بجانبي، خاصة

في السنوات التي كان فيها الوالد في الرياض مديراً لماليتها، ونحن بمكة، ولم يأخذنا معه للرياض، لأنه لم يكن في الرياض مدارس نظامية حينئذ، وممن كان له فضل علي السيد محمد طاهر الدباغ -رحمه الله- فقد كان يقول والدك والد ولادتك، وأنا والد تعليمك، وقد فرح -عليه رحمة الله- عندما أخبرته أنني تلقيت من والدي خطاباً يحثني فيه على الذهاب إلى مصر، وكنت خشيت ألا يرى ذلك، وكنت أبديت للسيد محمد طاهر -رحمه الله- خوفي هذا، فقال «لا تحمل همّاً فسوف تسافر، ووالدك لن يخالف رأيي، وأنا كفيل بذلك».

٧- كنت فعلاً أول من عاد من إنجلترا يحمل الدكتوراه، وكان كثيرون يظنون أن ذلك أمر صعب، ولهذا كنت أحاول أن أسهل الأمر لطلابي في جامعة الملك سعود، وأقول لهم: إن الدكتوراه -حسب تجربتي- أسهل من البكالوريوس،

فالبكالوريوس مواد متعددة، والفكر فيها موزع، أما رسالة الدكتوراه فمحصورة بمادة واحدة، معلومات الطالب فيها أقوى من أستاذه أحياناً، وما عليه إلا البحث، والأستاذ يهديه إلى سبله، وهذه مهمة المدرس: التوجيه والإشراف من أول الأمر إلى آخره، وكنت حريصاً على أن يذهب للدكتوراه أكبر عدد من جامعة الملك سعود لدراسة الدكتوراه. واليوم والحمد لله -سنوياً- يحصل على الدكتوراه من جامعات المملكة أعداد يفتخر بها، هذا عدا من يحصل عليها من جامعات خارجية.

٨- استُقبلتُ استقبالاً أشعر أنه أكثر مما أستحق، لنظرة الناس إلى الدكتوراه، وهي نظرة أعلى مما أنظر إليها أنا، فهم يرونها نهاية الطريق، وأنا أراها بدايته. ولاشك أن حرف (د) بقي سنين يفتح الأبواب على مصاريعها لحاملها لندرة من يحصل إليها. ولا أدري إذا كان حاملو الدكتوراه يجدون اليوم من القبول ما وجدناه بالأمس.

٩- قصة التعليم منذ بدأنا التعليم، أنا وجيلي،

قصة جميلة، وقصة تحدّ، وقصة معاناة، وقصة صبر، وقصة كفاح، وقصة جهاد، وقصة إنجاز، ومن عاد إلى الوراء وعرف الأعداد المحدودة في الطلاب والمدرسين والمدارس، والميزانيات وما كانت عليه بالأمس، وما أصبحت عليه اليوم، يدرك درجة الفخر التي يجب أن يتلمسها كل منتسب إلى هذه البلاد.

كانت أعداد الطلاب قبل خمسين عاماً تُعد بالمئات، وكان في هذا فخر، وأصبح اليوم العدد أربعة ملايين ونصف، وليس بنيناً فقط بل بنين وبنات، وعلى هذا قس المدرسين لهذا العدد والمدارس لكل هؤلاء.

هذه قصة لم تكمل، ولن تكمل، وسوف تستمر في ازدياد، وفي ارتفاع. كان بعض المدرسين لنا لا يحملون الشهادة الابتدائية، وكان يكفي من الموظف أن يعرف القراءة والكتابة، أو حتى (فك الحرف)، وكم من مسؤول في عمل مهم لا يقرأ ولا يكتب، وله كاتب هو بمثابة حامل الدكتوراه لأنه يكتب خطاً جميلاً، ويقرأ ما يوضع أمامه.

إنها قفزة رائعة تستوجب الحمد والشكر لأنها نعمة كبرى، نتذكر هذا، ونقارن ما كان بما هو حادث اليوم ونحن نستقبل اليوم الوطني.

١٠- من عرف البحث العلمي، وتعود عليه، لا يستطيع أن يجافيه، فهو معه في كل خطوة يخطوها في الحياة، وفي كل عمل يقدم عليه، ويحاول أن يكون باحثاً إذا قرأ، بالتمعن والتدبر والتفكير، وبالمناقشة في داخل الفكر، فيقبل ما يقرأ، أو يرفضه، يزيد عليه، أو ينقص منه، فهو يحكم عليه من منطلق بحثه. والبحث مع الإنسان فيما يكتب، فيحاول ألا يقول إلا ما يثبت البحث أنه الصواب، وتمتلكه ملكة التأكد والمراجعة. وبها يصبح البحث العلمي منهج حياة.

١١- لست متابعاً متابعة دقيقة لإنتاج مراكز البحوث، ولا جهود الأفراد في الجامعات في مثل هذا المجال، ولكن كما قلت في الجواب السابق، حب البحث، والتعلق به، وسيطرته على من تعود على البحث، تجعلني أحسن ظناً بأن البحث في الجامعات بخير، وقد رأينا بعض النتائج المشرفة،

والبحوث ونتائجها ليست بالكم، وإنما بالكيف، فالنجاح في بحث واحد، والوصول فيه إلى الهدف، يكفي مجالاً لإرضاء الضمير الوطني.

١٢- لا أعتقد أن الدكتوراه هي الأساس في تسنّمي هذه المناصب، وإنما حسن الظن بحاملها، وكرم من عينني فيها.

١٣- من أبرز طلبتي ممن افتخر بهم، وأقر أنهم سبقوني في المجال الذي تخصصوا فيه، الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، وأكتفي به، حتى لا أنسى أحداً. والأستاذ الدكتور عبدالله مرجع لي أرجع إليه في ما أحتار في الوصول فيه إلى حقيقة. زاده الله علماً ورفعة، ومتعه بالصحة والعافية.

١٤- هناك أحكام تلقى لم يسبقها تمعن، ولا استقصاء، فتأتي أحكاماً تخلو من العمق، وغالباً ما يبحث حل مشكلها باقتراحات غير عملية، فلا تأخذ طريقها للتنفيذ، ليس عندنا بطالة، وعندنا من الوافدين ما يقرب من سبعة ملايين، كان بالإمكان أن يحل السعوديون محلهم، أو بعضهم،

لو أن هؤلاء السعوديين لم يضعوا هدفهم الوظائف الحكومية، لأنها تعورف على أن فيها الأمان عند التقاعد، ولعل النظام الجديد لتقاعد من يعمل في المجال الأهلي يحل جزءاً من هذا الإشكال.

ولا تزال الجهات الحكومية تستقدم من يقوم بالعمل لديها، لأنه ليس بين السعوديين من يتوافر عنده هذا المؤهل، وكثير ممن تخرجوا ولم يجدوا عملاً، الدرجات التي حصلوا عليها هي في مجالات متشبعة. هذا جانب، وهناك جانب آخر على القطاع الخاص أن يساهم في حل هذه المشكلة من نفسه دون أن يحتاج إلى أن يُرغم على واجبه الوطني في هذا المجال، مما يضطر الدولة إلى التدخل، كما حصل في أسواق الخضار، وما حصل من تحديد نسب لتوظيف السعوديين في الشركات وغيرها. ويجب ألا تكون الناحية المادية عقبة في هذا، فبعض الشركات والمؤسسات الأهلية أرباحها تسمح لها بإعطاء مرتبات مجزية دون أن تهتز ميزانياتها. ويجب أن تكون النظرة وطنية لأن المساعدة في هذا المجال مردودها في نهاية الأمر عائد عليهم مع بقية

أفراد المجتمع. ولننتهي من التمسك بحجة أن السعودي لا يبقى في العمل، أو لا يعمل بجد، أو إذا دفع له أكثر، ترتفع أسعار السلع، إلى آخر ما في هذه الحجج التي قد يكون بعضها صحيحاً، ولكن التغلب عليها ليس مستحيلاً، فإذا كان سعودي ما، مثلاً، لم يثبت في العمل، فإن تجربة عشرة سوف تنتهي بوجود واحد يثبت في العمل ويبدع، وبلا شك الأمانة والثقة سوف تكون فيه أقرب من غيره.

وعلى الشاب السعودي أيضا أن يقوم بواجبه نحو نفسه، فإن وجد أن عنده نقصاً في الكفاءة، يكمله بدبلوم، أو بدورة، لتتناسب مع ما يتطلع إليه، وعندنا نموذج نجاح يتمثل فيمن التحقوا بنجاح وجدارة في البنوك. وكذلك على الشاب أن يبدأ البدء المتواضع، وأن يكبر عمله وراتبه مع الوقت، فالنخلة العملاقة تبدأ بنواة صغيرة، وعليه أن يتذكر أن هؤلاء الذين في المناصب العليا، أو الموظفين البارزين، بدؤوا من الصِّفر، وعليه أن يقتدي بهؤلاء، لا ببعض الحالات النادرة التي يضعها

أمامه فتعيقه بطموحه إليها عن أقل الدرجات.

١٥- المناهج في الابتدائي والمتوسط والثانوي ليست عائقاً، ولابد منها قاعدةً للتعليم، وعلى الطالب اختيار ما تحتاجه التنمية عند تقدمه للجامعة، ليخدم فيما بعد في المجال الحكومي أو في القطاع الخاص.

١٦- الوصفة قد وصفت بعضاً منها في الأجوبة السابقة.

١٧- أنا لا أحب التعميم، ومن الصعب أن تقول إن المناهج الدراسية في المملكة أفضل المناهج في العالم، لأننا لم نقم بإحصاء، ودون الإحصاء، مع إنه مستحيل، لا نستطيع أن نقول بهذا، ولكن نستطيع أن نقول إن مناهجنا هي أحسن ما أمكن أن نصل إليه مما يتماشى مع وضعنا ديناً ومجتمعاً.

١٨- موضوع أن وزارة المعارف لم تستفد من الطفرة لبناء المدارس قول تنقصه الحقيقة، كما سبق أن بينت وبرهنت بالإحصاءات، وبالمقارنات. وهي كلمة قيلت ودرجت وستبقى إلى أن يحكم التاريخ العادل حكمه.

١٩- كنت أكتب باسم مستعار في يوم من الأيام، لأني لم أكن أريد أن يفتح لي اسمي أبواب أفكار الطيبين، ولكن أريد أن يقوّموا ما أقول على أساس ما فيه، ولهذا عندما قُبل أخرجته في كتاب باسمي الصريح.

مقدمة كتاب مذكرات عبدالله القرعاوي

أكتب هذه الكلمة مقدمة لكتاب قد يسبق خروج هذا الكتيب، أو قد يلحقه، وهو مقدمة لذكريات كتبها عن حياته، وخاصة العلمية، الأخ الأستاذ عبدالله بن حمد القرعاوي في «المجلة العربية» وهي تؤرخ في حياة فرد سير التعليم في حقبة معينة من نهضتنا التعليمية، وتأتي هذه المعلومات التي دوّنها عصارة تجربة، ونتيجة جهاد، اتسمت به تلك الحقبة، من معاناة من شح في وسائل التعليم، وشدة في الطقس، وغربة، وتشتت، وتنقّل من عمل إلى عمل حتى يستقر المرء في المكان الأنسب لحياته.

مقدمة

المؤرخ يتصيد مادته من الحقائق التي ترد في منابع التاريخ نفسه، رؤية، أو مشافهة، أو قراءة. وكتابة المذكرات من أبرز مصائد المعلومات للمؤرخ، لأن كاتبها يذكر ما فعل، أو رأى، أو سمع، أو تحليلاً لكل ذلك، فإذا كان موضع الثقة، وعرف عنه عدم التحيز، فهو ضالة المؤرخ، يلتقطها متى وجدها، ويبحث عنها في مظانها، ويضن بها أن تفلت.

أمامي الآن مذكرات رجل أمين -كما أعرفه جيداً - فهو ابن عمتي، وعشنا معاً معه في بيت واحد، ونحن في عمر تتبين فيه حقيقة المرء قبل أن يدرج إلى الحياة التي يتمكن فيها من معرفة تغطية ما بداخله فلا يظهر على ظاهره. أرى البراءة التي كنت أعرفها فيه، والصدق الذي يتحلى به، والخلق الذي هو صفته، متمثّلاً في تصرفه مع الذين يتصل بهم.

من هنا أجد أن مذكراته هذه، التي نشرها في

«المجلة العربية» تباعاً، مصدر من مصادر تاريخ حقبة مهمة من حقب سيرنا، خاصة في مجال التعليم، وما كان عليه المجتمع، وكانت حقبة ممتعة لما اتصفت به من جهاد وعراك مع الحياة، طمعاً في العلم، وإدراكاً لأهميته وقيمته، وحاجة الفرد له في مستقبله. تؤرخ هذه المذكرات لبدء اليقظة الفكرية والثقافية، والطموح إلى بلوغ أرقى درجات العلم، وتحدد - بفخر - تجاوب المسؤولين، سواء في الإدارة التعليمية، أو في أعلى مستويات الدولة، وحرصهم على سبق الزمن، تعويضاً لما فات مما كانت تقصر عنه الإمكانات المادية، والعرف الاجتماعي، والتردد في قبول ما هو جديد، احتياطاً وحذراً.

وقد سار في هذه المذكرات من سنة لأخرى، منتهزاً فرصة مرور كلمة عارضة ليخرج عن الخط الذي رسمه ليأخذ منها فائدة للقارئ، يجد أن اصطيادها مهم، وكان يربط حوادث السنة اللاحقة بالسابقة، حتى تكتمل الصورة، ولا تنقطع، ويكون القارئ في المنزلة التي فيها الكاتب

من التصور والإدراك، فهو مثل الرسام يحرص على دقائق الأمور، لأن فيها اكتمال الصورة.

وقد أحاطت هذه المذكرات بسنوات عديدة، وسدت ثغرة ربما لا يسدها غيرها. وفي مثل هذه المذكرات كلمة واحدة، تَذْكر اسم شخص، أو مكان، أو تحدد سنة، تكون بمثابة كتاب كامل، لأنه يتوقف على صحتها أمر كبير، وقد يكون هناك باحث يجري لاهثاً ليجدها، فتكون له بمنزلة المنقذ، ويجد فيها ضالة، ويجد فيها درة ثمينة.

هذه المذكرات ستكون لمن عاصر هذه الحقبة اجتراراً ممتعاً لما عرفه وعاشه، وستكون للشباب الذين جاءوا فيما بعد، ولم يمروا بالصعاب التي مر بها كاتب المذكرات وزملاؤه، بمثابة مجال واسع للمقارنة، والخروج بحكم صادق عن القفزة التي قفزتها بلادنا في مجال التعليم، والتعليم خير مقياس للسير في الجوانب الأخرى من حياة المجتمع.

جرت العادة أن تشمل المقدمة نبذة عن المؤلف، ولكن هذا ليس في الذهن هنا، لأن في المذكرات

عن هذا الجانب ما فيه الكفاية.

بقيت كلمة: ليت كل متعلم يكتب عن معاناته في سبيل التعليم والحياة، أو عدم معاناته لأن السبيل كان ميسراً، وتكون هذه عادة تستمر حتى يتصل الحديث، ولا ينقطع، وليت هذه وأمثالها تجمع، وتدرس، ويُخرج منها بصور صادقة لوقع خطونا، وما أنجزناه، وما سوف ننجزه في ضوء التخطيط الذي وضعناه برضانا، وانطلاقاً من استقلالنا في بلادنا، حسب ما تقتضيه حاجتنا، دون تقليد أعمى، ونقل ما عند غيرنا دون تحقيق وتمحيص، مما يجعلنا نسخة من غيرنا، ونضيع شخصيتنا، والشخصية سمة الروح الوطنية.

«١» فهرس المواضيع

مقدمـــة ٥
التعليم في المملكة ١١
المدينة الأكاديمية لكليات البنات بالرياض ٢٥
اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم ٢٨-٢٩
دور المرأة السعودية في التنمية السعودية، وإعداد النشء ... ٣٨-٣٩
صدى الذكرى ٤٣
سياسة التعليم في المملكة وأهدافه ٥٣
سؤال وجواب ١٠٠
مقدمة كتاب مذكرات عبدالله القرعاوي ١١٦
فهرس المواضيع ١٢١

*** * ***

«٢» فهرس الأسماء

«أ»

أحمد السوركتي ٥٧

أم عيون ٩٠

«جـ»

جامعة أسيوط ١٦

الجامعة الإسلامية ١٨

جامعة الإمام محمد بن سعود ١٨

الجامعة الأمريكية ١٥

جامعة أم القرى ١٨

جامعة البترول والمعادن ١٨

جامعة الزقازيق ١٦

جامعة الملك سعود ١٨ ١٠٧ ١٠٨

جامعة الملك فاروق ١٥

جامعة الملك فؤاد ١٥ ١٠٦

جامعة الملك فيصل ١٨
جامعة الملك عبدالعزيز ١٨

« حـ »

حافظ وهبة ٤٨
الشريف حسين ٦٦

«خـ»

الملك خالد بن عبد العزيز ٩٨
خليل أحمد ٥٨

«س»

الملك سعود بن عبدالعزيز ٤٤ ٤٥ ٥٢ ٩٨
الأمير سلطان بن عبدالعزيز ٩٨
سليمان الزامل ٩٤
سليمان المحمد الشبل ٩٤ ٩٥

«ص»

صالح الناصر الصالح ٦٨ ٩١ ٩٤
صالح العلي (حوش) ٩٣
صحيفة الرياض ٢٨ ٢٩
صحيفة عكاظ ٢٨ ٢٩
صحيفة المدينة ١٠٠
صولة النساء ٦٤

«ط»

طوقان ٩٠

« ع »

عبدالحق قاري ٦٤
عبدالرحمن الحليسي ٤٨ ٥٠
عبدالله بن سليمان الحمدان ٤٦ ٥١ ٥٢
عبدالله السناري ٥٧
عبدالعزيز الخويطر ٥٢ ٩٤ ١٠٤ ١٠٦

الملك عبدالعزيز ٢٨ ٢٩ ٣٦ ٣٧ ٤٥
٤٦ ٤٧ ٩١ ٩٥ ٩٦
٩٨ ١٠١ ١٠٢

عبدالعزيز اليوسفي ٣٨

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٩٨

عبدالله الصالح العثيمين ١١١

عبدالله الصالح الفالح ٩٤

عبدالله القرعاوي ١١٦

عبدالله مجاهد ٥٧

عبدالمحسن الناصر الصالح ٩٤

علي السيوفي ٩٤

الدكتور على المرشد ٢٤

«ف»

فؤاد الفارسي ٢٨

الملك فهد بن عبدالعزيز ١٣ ١٧ ٢٧ ٣٧ ٤٧
٧٦ ٩٨

فيصل بن بندر ٦٨
الملك فيصل بن عبدالعزيز ٩٨

« ك »

كليات الأزهر ١٥
كلية دار العلوم ٤٩ ٧٣
كلية اللغة العربية ٧٣

« م »

محمد بن عبدالعزيز الدغيثر ٤٥ ٥١ ٥٢
محمد الخياط ٥٧
محمد الدسوقي ٥٨
السيد محمد طاهر الدباغ ١٠٧
محمد علي زينل ٦٤
محمد العناني ٥٧
مدرسة تحسين الخطوط ٧٣
مدرسة تحضير البعثات ١٤ ١٥ ٣٥ ٧٤ ٧٥
١٠٢ ١٠٦

مدرسة تخصيص القضاء ٧٣
المدرسة الخالدية ١٢ ٧٢
المدرسة الرحمانية ١٢ ٧٢
المدرسة السعودية (عنيزة) ٨٨ ٩١ ٩٣ ١٠٥
مدرسة ابن صالح ٩٥
المدرسة الصولتية ٣١ ٦٤
المدرسة العزيزية ١٢ ٧٢
المدرسة الفخرية ٦٤
مدارس الفلاح ١٢ ١٥ ٣١ ٦٤ ٧٥
المدرسة الفيصلية ١٢ ٧٢
مدرسة القرزعي ٦٨ ٩٥
المدرسة المحمدية ٧٢
مدرسة المعلمين الأولية ٧٣
مدرسة النجاح ٣١
المدينة الأكاديمية ٢٤ ٢٥
مركز الأمير سلمان ٣٨ ٣٩ ٥٣

المعهد العلمي السعودي ١٤ ١٥ ٣٤ ٧٢ ٧٣
٧٥ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤
منذا ٩٠
موضي الفهد النعيم ٥٣

«هـ»

هارون الرشيد ٩١

«٢» فهرس الأماكن

«أ»

أبها ١٩

الأحساء ١٢ ١٣ ١٨ ٥٩ ٦٧ ٦٨ ٧٤ ٨٧ ٩٦

الإسكندرية ١٥ ١٦

ألمانيا ١٧

أمريكا ١٧

إنجلترا ١٧ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧

أندونيسيا ٦٣

إيطاليا ١٧

«ب»

باب الخلاء ٩٠

البحرين ٣١

بريدة ٨

البصرة ٦٨

البلقاء ٦٠
بومبي ٦٤
بيروت ١٥

«ت»

تركيا ٧٠

«جـ»

الجال ٨٩
جدة ١٢ ٤٦ ٤٧ ٥٢ ٥٨
٦٢ ٦٣ ١٠٢ ١٠٦
جرول ٧٢
الجزيرة العربية ١١
الجناح ٩

«حـ»

الحجاز ١١ ٦١ ٦٢ ٨٧ ٩٤
٩٦ ١٠١
الحرمين ١١ ٣١ ٦٣ ٦٩ ١٠٢

«خ»

الخبر ٩ ١٠

الخريزة ٩

« د »

الدمام ٩ ١٠ ١٨

« ر »

الرياض ٩ ٢٥ ٢٦ ٤٧ ١٠٧

«ش»

الشام ٦٠

الشامية ٧٢

الشبيكة ٧٢

شقراء ٣٦ ٧٤ ٨٧

«ص»

الصنقر ٨٩

«ض»

الضاحي ٨ ٨٩
الضبط ٩

«ط»

الطائف ١٣

« ع »

العراق ٣١ ٧٠
العَقِيليّة ٩
عنيزة ٨ ١٢ ٣٦ ٦٠ ٦٨
٧٤ ٨٨ ٩١ ٩٦ ١٠١
١٠٥ ١٠٦

« غ »

الغضا ٨٩

« ف »

فرنسا ١٧

« ق »

القاهرة ١٥ ١٦ ١٠٦

القصيم ١٩ ٥٩ ٦٨

قلعة جبل هندي ١٠٦

«ك»

الكويت ٦٨

« ل »

لندن ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٩ ٥٠ ٥٢

« م »

المجمعة ١٢ ٣٦ ٧٤ ٨٧ ٩٦

المداق ٩٠

المدينة المنورة ١٢ ١٣ ١٩ ٣١ ٥٧

٥٨ ٦٢ ٦٣ ٦٦ ٦٧

٧٠ ١٠٢ ١٠٦

المسعى ٧٢

مصر ١٣ ١٤ ١٥ ٣٥ ٣٦
٧٠ ١٠٣ ١٠٥ ١٠٧
المعابدة ٧٢
المعلاة ٧٢ ١٠٦
مكة المكرمة ٨ ١١ ١٢ ١٣ ١٤
٣١ ٣٢ ٥٧ ٦٢ ٦٣
٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٧٠
٧٧ ٩٦ ١٠٢ ١٠٣
١٠٦ ١٠٧
المملكة العربية السعودية ٦ ١١ ١٢ ١٣ ١٤
١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣
٣٥ ٣٦ ٣٨ ٣٩ ٤٤
٤٦ ٥٣ ٥٤ ٧٧ ٨٥
٩٦ ١٠٣
المغرنة ٩٠
منفوحة ٩

« ن »

نجد ١٢ ٣١ ٦١ ٦٨ ٩٥
١٠١

«هـ»

سوق الهفوف (بعنيزة) ٩٠
الهند ١١ ٦٣ ١٠٤

نبذة عن المؤلف

- ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.
- جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
- حصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ.
- حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ.
- عيّن في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود.
- عين وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ.
- درَّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب.
- انتقل من الجامعة رئيساً لديوان المراقبة العامة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للصحة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للمعارف لمدة ٢١ عاماً.
- عيّن في عام ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء.
- نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب: «الشيخ أحمد المنقور في التاريخ».
- ألّف عام ١٣٩٠هـ كتاب: «عثمان بن بشر».
- ألّف عام ١٣٩٥هـ كتيب: «في طرق البحث».
- طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك: «الظاهر بيبرس» باللغة العربية.
- طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغة الإنجليزية.
- حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»، ونشره.
- حقق كتاب «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.
- من حطب الليل، نشر عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ألّف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م كتاب «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله بن عثيمين».
- ألّف بين عامي ١٤٠٩ و١٤١٤هـ كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.
- ألّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب «إطلالة على التراث في ستة عشر جزءاً.
- ألّف عام ١٤١٨هـ كتاب «يوم وملك» ج١.
- ألّف عام ١٤١٩هـ كتاب «ملء السلة من ثمر المجلة»، الجزء الأول، ثم أتبعه بالجزء ٢.
- ألّف عام ١٤٢٢هـ كتاب: حديث الركبتين.

ردمك : ٥ ـ ٠٠٦ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ ـ ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض
E. Mail: safir777press@hotmail.com